حقيقة الخلاف بين الصحابة

في معركتي الجمل

وصفين وقضية التحكيم

تأليف

علي محمد محمد الصلابي

مكتبـة الإيمـان - المنصــورة

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

الإهــداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله تعالى أهدى هذا الكتاب، سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم. قال تعالى:**{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}**

[الكهف: ١١٠]

هذا الكتاب

" حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم " جزء من كتابي " سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ "

رأيت نشره منفرداً حتى تعم به الفائدة

علي محمد الصلابي

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}** [آل عمران: ١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء: ١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، أما بعد..

فإن هذا الكتاب فصل من كتاب "سيرة أمير المؤمنين عليي بن أبي طالب رضي الله عنه" ورأيت نشره منفرداً وذلك لأهميته ولتعم الفائدة، ونتحدث فيه عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم من خلاف في معركتي الجمل وصفين وحادثة التحكيم، وذلك في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سميت هذا الكتاب: **[حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم]**.

تحدثت عن المشاكل الداخلية في عهد علي رضي الله عنه فتحدثت عن معركة الجمل مبتدئاً بالأحداث التي سبقتها وعن أثر التنظيم السبئي في اندلاعها ودور عبد الله بن سبأ في إذكاء الفتن الداخلية وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان، وعن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان، ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عثمان، وبينت موقف معتزلي الفتنة، كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وأسامة بن زيد ومن سار على نهجهم.

وتكلمت عن موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي، وعن محاولات الصلح قبل اندلاع معركة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولته الأولى

والثانية، واستشهاد طلحه والزبير ومبايعة أهل البصرة لعلي ﷺ وعن موقف علي من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكيف عاملها واحترمها وقدرها وردها إلى المدينة معززة مكرمة وأشرت إلى فضائلها وشيء من سيرتها، كما ترجمت للزبير وطلحة رضي الله عنهما - لكونهما من الشخصيات المؤثرة في عهد النبوة والخلافة الراشدة وفي عهد أمير المؤمنين علي ودافعت عنهما دفاعاً عن الحق لكونهم ظلما، فبينت فضلهما ومكانتهما في الإسلام، ورددت على الشبهات والأكاذيب التي ألصقت بهما من خلال إثبات الحقائق الناصعة، والحجج الدامغة وصفاتهما الرفيعة، وأخلاقهما الكريمة، بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقية لا لبس فيها ولا غموض، لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن ترجمة عائشة أو طلحة والزبير أو غيرهم من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث التي وقعت في عهد أمير المؤمنين علي ﷺ ينسجم مع منهجي في دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره والشخصيات التي أثرت في ذلك العهد، ملتزماً في طرحي بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً، أصولاً وفروعاً.

هذا وقد تحدثت عن معركة صفين، ودوافع معاوية رضي الله عنه في عدم البيعة، والمراسلات التي تمت بينه وبين علي ﷺ ومحاولات الصلح، ونشوب القتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمار بن ياسر ﷺ وأثره على المسلمين، وعن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعاملة الأسرى، وعدد القتلى، وترحم أمير المؤمنين علي ﷺ على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام، ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت لسيرة أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية، والموضوعة التي ألصقت بهما في حادثة التحكيم، وأشرت إلى كيفية الاستفادة من قصة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية. وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب، وحذرت من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان، ككتاب الإمامة والسياسة المنسوب زوراً لابن قتيبة، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وتاريخ اليعقوبي، والمسعودي وغيرهم من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المستشرقين في تحريف التاريخ الإسلامي وتزويره وتشويهه، وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض، وكيف أسسوا مدرسة معارضة ساهمت في تلويث الأفكار، وتحريف الوقائع وطمس الحقائق، وتوسيع النقاط السوداء في تاريخنا مع المبالغة

والتهويل تحت شعارات براقة، كالبحث العلمـي النزيـه، والواقعيـة، والموضـوعية والحيـاد، وتبني تلك الأفكار التدميرية مجموعة من أبناء المسلمين، ينتمون للإسلام، لا يحسنون فهمـه، ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنـه، بـل تورطـوا في شـباك أعـداء الإسـلام الـذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمة وحضارتها التي صنعها دينها العظيم.

ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتـاب أن لا ينسـى العبـد الفقـير إلى عفـو ربـه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه**{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}** [النمل: ١٩]. قال تعالى:**{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}** [فاطر: ٢].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

سبحانك اللهم وبحمدك، وأشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد الصلابي

* * *

معركتا الجمل وصفين
وقضية التحكيم

قال تعالى:**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** [الحجرات: ٩، ١٠].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبد الله بن أبي؟ قال: فانطلق إليه، وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخه [١]، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، قال: فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم:**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}** [٢].

وعن الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله:**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}** فإن الله سبحانه أمر النبي ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجتنب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله [٣].

وفي قوله تعالى:**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}**، أي إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح والدعوة إلى حكم الله والإرشاد وإزالة الشبهة وأسباب الخلاف، والتعبير بـ" إن" للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين وأنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها

---

(١) أرض سبخة هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.
(٢) البخاري ، رقم ٢٦٩١ ، مسلم رقم ١٧٩٩.
(٣) التفسير الصحيح ، حكمت البشير (٤ / ٣٦٩).

للوجوب [١]، وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تخرج من الإيمان خلافاً للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو في النار، وثبت في صحيح البخاري عن أبي بكرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي – رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: **«إن ابني هذا سيد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»** [٢] فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام والعراق بعد الحروب التي وقعت بينهما[٣].

وفي قوله تعالى:**{فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}** أي فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله، وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة.

وفي قوله تعالى:**{فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ}** أي رجعت الفئة الباغية عن بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء في الحكم بينهما. إن الله يحب العادلين ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور [٤]. قال ﷺ : **«إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»** [٥]. ثم أمر الله تعالى بالإصلاح في غير حال القتال، ولو في أدنى اختلاف فقال:**{إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}**، فهذه الآية أصل من الأصول التي تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم [٦]. إن الله تعالى لم ينف صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كلتيهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٢٦ / ٢٣٧).
(٢) البخاري ، رقم (٧١٠)
(٣) التفسير المنير (٢٦ / ٢٣٨).
(٤) المصدر نفسه (٢٦/ ٢٣٨).
(٥) مسلم: الإمارة – حديث رقم (١٨٢٧).
(٦) سورة الحجرات، د. ناصر العمري (٣٠٥).

هم سادات المؤمنين الصحابة الكرام، سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين علي ﷺ بتطبيق هذه الآية مع حرصه على الإصلاح وقد استجاب طلحه والزبير لذلك إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبوا الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله، وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما في وسعه من طرق سلمية، وجرد سيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكي يفيء معاوية ﷺ إلى السمع والطاعة، ووحدة الخلافة الإسلامية، إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان ﷺ فاجتهد وأخطأ، وكان الحق مع أمير المؤمنين علي ووقع القتال.

وقال تعالى:**{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** فأثبتت الإخوة الإيمانية لجميع المقاتلين من المسلمين، ومن باب أولى ما وقع بين علي وطلحة والزبير ﷺ في الجمل، وما وقع مع معاوية في صفين، ومن هنا يظهر لنا أن المقاتلين في الجمل وفي صفين مؤمنون، ولا مجال للطعن في الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية، أو محاولة نزع الإيمان عنهم، أو نشر العبارات المنحرفة في حقهم، ويكفي في الرد على تلك المقولات الباطلة أن هذه الآيات أثبتت لهم أنهم أخوة الإيمان، وسيأتي بيان ما وقع بينهم - بإذن الله تعالى - بالتفصيل.

قد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد، وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين أمر الله تعالى بالتقوى، والمعنى: فأصلحوا بينهما، وليكن رائدكم في الإصلاح وفي كل أموركم تقوى الله، وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخوين، فإنهم إخوانكم، والإسلام سوى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق ولعلكم ترحمون بسبب التقوى وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي [(١)].

وقد جعلت الآية الكريمة الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تعظيماً لأمر الإصلاح بين المسلمين [(٢)]. ويلاحظ أنه قال: اتقوا الله عند تخاصم رجلين ولم يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين، لأنه في حالة تخاصم الرجلين يخشى اتساع الخصومة، وأما في حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكل [(٣)]، وكلمة (إنما) للحصر تفيد أنه لا إخوة إلا بين المؤمنين، ولا إخوة بين المؤمن والكافر، لأن الإسلام هو الرباط

---

(١) التفسير المنير (٢٦ / ٢٣٩).
(٢) منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحريري: ص (١٦).
(٣) التفسير المنير (٢٦ / ٢٣٦).

الجامع بين أتباعه، وتفيد أيضاً أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الأخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذمياً أو مستأمناً وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقاً إن خصمه حربياً [(١)].

وقد قال ابن العربي: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإياها عنى النبي ﷺ: **«تقتل عماراً الفئة الباغية»** [أي عمار بن ياسر] أي أن الأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولذلك تخلف قوم من الصحابة ﷺ عن هذا الأمر، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم [(٢)] أمير المؤمنين علي. وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سرد الوقائع التي حدثت بين الصحابة - بإذن الله تعالى.

ويعد نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله نظاماً له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التي حاولتها في كل تجاربها الكسيحة، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق، لأن الاحتكام فيه إلى أمر الذي لا يشوبه غرض ولا هوى ولا يتعلق به نقص أو قصور [(٣)]. ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى توج بالصلح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ.

* * *

(١) التفسير المنير (٢٦ / ٢٤٠)

(٢) التفسير المنير (٢٦ / ٢٤٢) ، أحكام القرآن (٤ / ١٥٠).

(٣) في ظلال القرآن (٦ / ٣٣٤٤).

الفصل الأول

معركة الجمل

الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان ﷺ سبباً في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان ﷺ، منها: الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده، مجيء عثمان بعد عمر، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة، وقد تم تفصيل تلك الأسباب في كتابي "سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان"[(١)]. إن عثمان ﷺ كان الناس يحبونه حباً عظيماً، لحسن سياسته ولمكانته مع رسول ﷺ وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتى سمي بذي النورين فهم من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة، ولقد تعرض للظلم في حياته من بعض الغوغاء وكان في استطاعته أن يقضي عليهم ولكنه امتنع خوفاً من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد ﷺ فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء، وأحب أن يقي المسلمين بنفسه، ولذلك كان مقتله سبباً لحدوث كثير من الفتن الأخرى وألقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن، ولقد كان مقتله عظيماً على المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحدث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد من مكانته وبراءته مما نسب إليه مواقف الصحابة من قتله، فقد أجمع الجميع على براءته واتفقوا على الأخذ بدمه إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية، وهذا ما سيأتي بيانه، بإذن الله. **ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عموماً:**

أولاً: أثر السبئية في إحداث الفتنة:

(١) السبئية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله بن سبأ:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة في الإخبار، علماً بأنه وردت روايات عند ابن عساكر تذكر عبد الله بن سبأ ليس من رواتها سيف بن عمر، وقد

---

(١) عثمان بن عفان للصلابي ص (٣١١ - ٣٤٠).

حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند [١].

وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم، وليس فيها عمر هذا، لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ [٢] ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين، وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم، وهي محاولتهم الفاشلة لتبرئة أصل مذهبهم من مؤسسه الحقيقي كما أجمع القدماء جميعهم بمن فيهم الشيعة.

وتجدر الإشارة أن من أنكر عبد الله بن سبأ من المحسوبين على أهل السنة هم ممن تأثروا وتتلمذوا على أيدي المستشرقين فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل؟ وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق، لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة، ودور ابن سبأ فيها لم يكن قاصراً على تاريخ الإمام الطبري، واستناداً على روايات سيف بن عمر التميمي فيه وإنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي وآراء الفرق والنحل في تلك الفترة إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلاً لا أكثر.

ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر حتى بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها سيف ابن عمر كما أسلفنا إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء، وتزييف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحاً والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟ [٣].

---

(١) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، للعودة ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٢٨٤) ذكر تفصيلات مهمة، وكذلك عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للعودة.

(٣) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة ، تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٧٠)

وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيراً منها:

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان [١] المتوفي عام ٨٣هـ وقد هجا المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فر مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقولـه:

شـــهدت علـــيكم أنكـــم ســـبئية ::: وأنـي بكـم يـا شـرطة الكفـر عـارف [٢]

وهناك رواية عن الشعبي المتوفي عام ١٠٣هـ (٧٢١م) تفيد كذب عبد الله بـن سـبأ [٣]، وتحدث بن حبيب [٤] المتوفى عام ٢٤٥هـ (٨٦٠م) عن ابن سبأ حينمـا اعتـبروه أحـد أبنـاء الحبشيات [٥]، كما روى أبو عاصم خشيش بن أصرم المتوفى سنة ٢٥٣هـ، خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب بن سبأ في كتابه الاستقامة [٦]، ويعتبر الجاحظ [٧] المتوفى في ٢٥٥ هـ من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ [٨]، ولكن روايته ليست أقدم رواية عـن ابن سبأ كما يروي الدكتور جواد علي [٩]، وخبر إحراق علي بن أبي طالب ﷺ لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصـحية في كتـب الصـحاح والسـنن والمسـانيد [١٠]، ولفـظ الزندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته.

ويقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ [١١]

ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل [١٢].

ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقـة ولـه أتبـاع يقـال لهـم: السـبئية

---

(١) هو عبد الرحمن بن الحارث الهمداني ، المعروف بأعشى همدان.
(٢) ديوان أعشى همدان: ص (١٤٨).
(٣) تاريخ دمشق ، ابن عساكر (٩ / ٣٣١).
(٤) تاريخ بغداد (٢ / ٢٧٧).
(٥) عبد الله بن سبأ للعودة ص (٥٣) ، المحبر ، ابن حبيب: ص (٣٠٨)
(٦) تذكرة الحفاظ (٢ / ٥٥١) ، شذرات الذهب (٢ / ١٢٩).
(٧) وفيات الأعيان (٣٠/ ٤٧٠).
(٨) البيان والتبيين (٣ / ٨١).
(٩) تحقيق مواقف الصحابة (٨ / ٢٩٠).
(١٠) عبد الله بن سبأ للعودة: ص (٥٣).
(١١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٨٣).
(١٢) ميزان الاعتدال للذهبي (٢ / ٤٢٦).

معتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته [١].

ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى ٣٥٤هـ: وكان الكلبي – محمد بن السائب الإخباري – سبئياً، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت وأنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة: وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها [٢] وكما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ وهم الغلاة من الرافضة، وابن سبأ أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام [٣]، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيفاً فيها، وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره [٤]، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإنه ابتداع بن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي وادعى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له [٥] ويشير الشاطبي [٦] المتوفى عام ٧٩٠هـ إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله – تعالى – وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات [٧]، وفي خطط المقريزي المتوفى عام ٨٤٥هـ، أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علي محدثاً القوم بالوصية والرجعة والتناسخ [٨].

وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ: فقد روى الكشي عن محمد بن قولوية، قال: حدثني سعد بن عبد الله قال: حدثني يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فضالى بن أيوب الأسدي، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبداً طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم [٩] والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحة [١٠].

---

(١) لسان الميزان لابن حجر (٣ / ٣٦٠).
(٢) المجروحين من المحدثين ، أبو حاتم (٢ / ٢٥٣).
(٣) الأنساب (٧ / ٢٤).
(٤) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٢٩٨) ، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (٥٤).
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤ / ٤٣٥).
(٦) إبراهيم بن موسى ، محمد الغرناطى توفي عام ٧٩٠.
(٧) الاعتصام (٢ / ١٩٧).
(٨) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧).
(٩) رجال الكشي (١ / ٣٢٤).
(١٠) عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة ، لمحمد علي المعلم: ص (٣٠).

وفي كتاب الخصال أورد القمي الخبر نفسه، ولكن موصولاً بسند آخر، وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سبأ على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل [١].

وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره [٢].

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن[٣]، وفان فولتن [٤] وليفي ديلافيد [٥]، وجولد تسيهر [٦]، ورينولد نكلسن [٧]، وداويت رونلدس [٨]. على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتاني وبرنارد لويس [٩] وفريد لندر [١٠] المتأرجح علماً بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن يستقرئ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، يتأكد له بأن وجود ابن سبأ كان وجوداً تؤكده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحدثين، بيد أن أول من شك في وجود ابن سبأ المستشرقون، ثم دعم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده البتة.

وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات

(١) عبد الله بن سبأ ، سليمان العودة: ص (٦٢).
(٢) عبد الله بن سبأ ، سليمان العودة: ص (٦٢).
(٣) الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهاوزن: ص (١٧٠).
(٤) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات: ص (٨٠).
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٢١).
(٦) العقيدة والشريعة الإسلامية ، جولد تسيهر: ص (٢٢٩).
(٧) تاريخ العرب الأدنى في الجاهلية: ص (٢٣٥).
(٨) عقائد الشيعة: ص (٥٨).
(٩) أصول الإسماعيلية (٨٦).
(١٠) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣١٢).

الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعاً ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته، والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات [١]، ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السنية والشيعية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ فليراجع تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمحزون، وعبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام للدكتور سليمان بن حمد العودة.

(٢) دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان ﷺ بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة [٢]، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة، كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها، إذ أن هناك أجواء للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساعدته، وغاية ما جاء به بن سبأ آراء ومعتقدات ادعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه وهو الدس في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ وتفرق الأمة شيعاً وأحزاباً [٣].

وخلاصة ما جاء به: أن أتى بمقدمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية، لبس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتأوله على زعمه الفاسد حيث قال: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال تعالى:**{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}** [القصص: ٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى [٤]، كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلي رضي الله عنه بقوله: إنه كان

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣١٢).
(٢) مثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣١٢).
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٣٤٧).

ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصى محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء[١]، وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان ﷺ، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوا إلى هذا الأمر [٢]، وبث دعاته، وكاتب من كان في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون،، ويسترون غير ما يبدون فيقول أهل مصر: إنا لفي عافية مما فيه الناس [٣].

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصباً وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس – خاصة في الكوفة – على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علماً بأنه ركز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقراء استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان، مثل تحيزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان ﷺ مع براءته، ثم أنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية لأن تصديق ذلك

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٣٤٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٣٤٧).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٣٤٧).

من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[(١)].

هذا وقد شعر عثمان ﷺ بأن شيئاً ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشر فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها [(٢)].

على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان ﷺ ويحث على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب علي وصي رسول الله ﷺ يقصد [(٣)] علياً، وقد غشهم بكتب ادعى أنها وردت من كبار الصحابة حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعاً، حيث تبرأوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان [(٤)]، ووجدوا عثمان مقدراً للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افتراءهم وفسر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك بن الأشتر النخعي: لعله مكر به وبكم [(٥)].

ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها [(٦)]، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم، ويروي ابن كثير أن أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه فافتتن به بشر كثير من أهل مصر [(٧)].

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكونت به الطائفية السبئية المعروفة التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وما ترتب على قتله من فتن كمعركتي الجمل وصفين وغيرهما. والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيماً. إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية

---

(١) الدولة الأموية ، يوسف العشى: ص (١٦٨) ، مواقف الصحابة (١ / ٣٣٠).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٢٥٠).
(٣) المصدر نفسه (٥ / ٣٤٨) ، تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٣٠).
(٤) المصدر نفسه (٥ / ٣٤٨) ، تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٣٠).
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٣١).
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٣٨).
(٧) البداية والنهاية (٧ / ١٣٧ ، ١٣٨).

الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أم في الكوفة أم في مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفة بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون [١].

ثانياً : اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه :

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين علي ومعاوية لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين على وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأي تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان [٢].

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل علياً، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا علياً وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا [٣].

وقال أيضاً:.. وكل فرقة من المتشيعين مقرة مع ذلك بأن معاوية ليس كفئاً لعلي بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي، فإن فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم [٤].

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحاً في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين علي موافقاً من حيث المبدأ على وجوب

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١ / ٣٣٩).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١٦٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٧٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٧٢).

الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة [١].

قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر لهم بالاجتهاد: أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه[٢].

ثالثاً: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم ومن كان على رأيهم:

١ - السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

لما سمعت السيدة عائشة رضي الله عنها بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتسترت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت:

أيها الناس: إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب [٣]، واستعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً خلجوا [٤]، وبادروا

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص ١٥٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ١٤٩).

(٣) الأرب: الحاجة والدها ، والفطنة والعقل.

(٤) خلجوا: تحركوا واضطربوا.

بالعدوان، نبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام، والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة [١] من اجتماعكم عليه حتى ينكل بهم غيرهم [٢]، ويشرد [٣] من بعدهم، ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يمص الثوب بالماء [٤].

وجاء في رواية عائشة رضي الله عنها حين انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي – أمير مكة – فقال لها: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام [٥]، وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة على عثمان، ولعنها لمن قتله، وروت في حقه أحاديث عن رسول الله ﷺ في فضائله، فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة، عندما أرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعداً عند نبي الله وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول:

اكتب عثمان، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله [٦].

وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليه بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا [٧]، وقد مر معنا كذب السبئيين في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذباً وزوراً للسيدة عائشة، وقد جاءت رواية موضوعة، وضعيفة أسانيدها واهية من رواية الكذابين

---

(١) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.
(٢) ينكل بهم غيرهم: حتى يروعهم ويروع بهم غيرهم.
(٣) يشرد: يفرق ويبدد جمعهم.
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٣ – ٤٧٤).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٥).
(٦) المسند (٦ / ٢٥٠ – ٢٦٠) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٧٨).
(٧) فتنة مقتل عثمان (١ / ٣٩١) ، تاريخ خلية ص (١٧٦) إسناده صحيح إلى عائشة رضي الله عنها.

وللأسف اتبعها بعض المعاصرين وراجت عليهم هذه الأكاذيب صورت العلاقة بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما على صورة مناقضة تماماً للروايات الصحيحة السالفة الذكر وزعمت تلك الروايات الكاذبة أن السيدة عائشة رضي الله عنها ألبت على عثمان رضي الله عنهما وقالت بوجود خلاف بينهما، ونسبت إليها الاشتراك شبه الفعلي في قتله، ونقل ذلك الطبري.

ونقل عن الطبري الكثير من المؤرخين، وإليك مثال ذلك:

ما ذكر الطبري قال: كتب إليّ علي بن أحمد بن الحسن العجلي، أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نويرة، وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر بن سعد، عن أسد بن عبد الله، عمن أدرك من أهل العلم، أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف [(١)] راجعة إلى مكة، لقيها عبد بن أم كلاب - وهو عبد ابن أبي سلمة، ينسب لأمه - فقالت له: مهيم، قال: قتلوا عثمان بن عفان ﷺ فمكثوا ثماني، قالت: ثم صنعوا ماذا، قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خيار مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب، فقالت ردوني، ردوني والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولم، فوالله، إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً [(٢)] فقد كفر، قال: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت، وقالوا، وقولي الأخير من قولى الأول، فقال لها بن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير	**ومنك الرياح ومنك المطر**
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا: إنه قد كفر

فانصرف إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت الحجر فتسترت واجتمع إليها الناس فقالت: إن عثمان قتل مظلوماً، ووالله لأطلبن بدمه [(٣)].

---

(١) سرف: مكان بين مكة والمدينة على ستة أميال من مكة.

(٢) نعثل: رجل من أهل مصر كثيف شعر اللحية ، كان يشبه عثمان.

(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٥).

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري، ويكفي أن في رجال الإسناد نصر بن مزاحم العطار المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية: شيعي منكر، تركوه، جلد [١]، وأما الطريق الثاني ففي إسناده عمر بن سعد، وهو قائد السرية التي قاتلت الحسين ﷺ وهو عند رجال الحديث لا يصح حديثه، متهم بالوضع متروك [٢] فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي رواريتها [٣] وقد جاءت روايات في كتب التاريخ والأدب ضعيفة وموضوعة، لا تثبت أمام النقد العلمي سارت على النهج المظلم في تشويه السيدة عائشة رضي الله عنها [٤].

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد وفي كتاب الأغاني، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ المسعودي، وأنساب الأشراف، وغيرها من الكتب، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان بن عفان ﷺ لا يعتد بها لمخالفتها للروايات الصحيحة قيامها على روايات واهية، فأغلبها روايات غير مسندة، والمسند مجروح الإسناد لا يحتج بروايته، هذا إلى فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرى الأكثر صحة وقرباً للحقيقة [٥].

وقد قامت السيد الفاضلة والباحثة القديرة أسماء محمد أحمد زيادة بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره، وبينت زيفها وكذبها، ثم قالت: وكان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعاً، لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رمي أصحابها بالتشيع والكذب والرفض، ولكننا عرضنا لها، لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل على سقوطها، فهي روايات - كما اتضح لنا - حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة وبين عثمان والصحابة جميعاً ﷺ [٦].

---

(١) المعنى في الضعفاء (٢ / ٦٩٦) ، ميزان الاعتدال (٢٤ / ٧) التاريخ الكبير (٥ / ١٠٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤٩) ، الطبقات (٥ / ١٦٨).
(٣) دور المرأة السياسي في عهد النبي ص. ص والخلفاء ، ص ٣٥٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٥٢.
(٥) دور المرأة السياسى في عهد النبي ص والخلفاء، ص ٢٧٠
(٦) المصدر نفسه ﷺ ٣٧٠.

ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التحريض على عثمان ﷺ لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمردين، لكن لم يصح عنها رضي الله عنها شيء من هذا، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رضي الله عنها وعن الصحابة الذين اشتركوا معها، وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات، لكننا توقفنا أما الروايات، تأكيداً منا على سقوط هذه الروايات ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها حتى تجتمع الأدلة الدينية، والعلمية، والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها بعضاً[(١)]، إن الاتهامات التي وجهت إلى السيدة عائشة رضي الله عنها لا تثبت سنداً ولا تقوم أمام الأدلة العقلية أيضاً.

٢ - طلحة والزبير رضي الله عنهما:

طلب طلحة والزبير ومن معهما من الصحابة من أمير المؤمنين ﷺ تعجيل القصاص من قتلة عثمان ﷺ فقال لهم أمير المؤمنين علي ﷺ: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثاب إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، إن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً.

إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا [(٢)].

ولكن هذه السياسة الحكيمة لم يتفهم بها بعضهم فالناس في حال غضبهم وسيرهم وراء عواطفهم لا يدركون الأمور إدراكاً واقعياً يمكنهم من التقدير الصحيح، فتنعكس في تقديرهم الأوضاع ويظنون المستحيل ممكناً ولذلك قالوا: نقضي الذي علينا ولا نؤخره [(٣)]،

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٧١.
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٠).
(٣) المصدر نفسه (٥ / ٤٦٠).

وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان [١]، وأخبر علي بمقالتهم، فرغب أن يريهم أنه لا يستطيع هو ولا هم أن يفعلوا شيئاً في مثل تلك الظروف فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء [٢] وكأن رواد الفتنة من السبئية تبادر إلى أذهانهم أن الخليفة يريد أن يجردهم من أعوانهم الذين يشدون أزرهم ويقضون إلى جوارهم فعصوا ذلك الأمر وحرضوا الأعراب على البقاء فأطاعوهم وبقوا في أماكنهم، ففي اليوم الثالث بعد البيعة خرج علي وقال لهم أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم: فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبي ﷺ فقال: دونكم ثأركم، فقالوا: عشوا عن ذلك [٣]، فقال لهم علي: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى، ثم أنشد يقول:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم ::: أمرتهم أمراً يديخ الأعاديا[٤]

حتى هذه اللحظة فإن علياً وطلحة والزبير والصحابة جميعاً كانوا يبدون متفقين تماماً على ضرورة إقامة الحدود على من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة، دفعاً لضررهم على الدين كله، وكانوا متعاونين في ذلك، وكان الأمر يبدو منطقياً تماماً من علي رضي الله عنه واتفق معه الصحابة في ذلك، ولكن كيف يصنعون بهؤلاء الغوغاء الذين تحكموا في الأمور، وحركوا معهم العبيد والأعراب، وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاؤوا، لم تكن هناك إذن قدرة على قتالهم [٥].

وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلي لمواجهة السبئية الموجودة حول علي، فقد قال طلحة لعلي: دعنى فلآت البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، وقال الزبير: دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل [٦]، ولكن علياً رضي الله عنه نراه يتريث ويقول لهما: حتى أنظر في ذلك [٧].

---

(١) الدور السياسي ص ٣٨٨.
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٠).
(٣) عشوا: عشا: ساء بصره ، وهنا لم يروا.
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦١).
(٥) فتح الباري (١٢ / ٣٦٠).
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٣٦١).
(٧) المصدر نفسه (٥ / ٣٦١).

ولعل علياً رضي الله عنه كان يخشى الفتنة وتحول الأمر إلى حرب أهلية داخل المدينة لا تحمد عقباها، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلى مطلبهما [١] وكان اقتراح الزبير وطلحة على علي دليلاً على اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي رضي الله عنهم جميعاً، من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين في داخل الصف يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حداً من أهم الحدود وتقوية جانب علي حتى يتمكن من إقامتها، على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر علي في ذلك، لكن علياً رضي الله عنه كان يرى أن هذا الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإماتته، وإنها فتنة من النار كلما سعرت ازدادت واستنارت[٢].

ولما رأى الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان ولم يستطع علي أن يقيم القصاص على قتلة عثمان بسبب أن الخارجين على عثمان لهم شوكة وقوة وتغلغل في جيش علي، عندئذ قال طلحة والزبير لعلي: ائذن لنا أن نخرج من المدينة فإما أن نكابر [٣] وإما أن تدعنا، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بداً فآخر الدواء الكي [٤]، فقد كان علي رضي الله عنه يعرف أن خروجهم من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حل، فلم يمنعهما من ذلك، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حل أيضاً، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة [٥].

وقد خاض بعض الباحثين المعاصرين في تفسير النص المتعلق باستئذان طلحة والزبير في الذهاب للبصرة والكوفة والمجيء بخيل من هناك لدحر الغوغاء، وامتناع علي عن الموافقة - بالباطل - وقالوا: أنه تخوف جانب الرجلين وخشى أن يعيداها عليه جذعة ويستنا به سنة أهل مصر بعثمان يكون له معهما يوم كيوم الدار [٦]، وتفسير كهذا تحميل للنص فوق ما يحتمل [٧] وفيه ظلم وتجاوز في حق صفوة الصحابة.

لقد ذهب الزبير وطلحة رضي الله عنهما إلى مكة والتقوا بكم غفير من المسلمين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه وسوف يأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل بإذن الله.

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٠٨).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٣٦٧) ، دور المرأة السياسي ص ٣٨٠.
(٣) نكابر: أي نجاحد ونغالب الأمر.
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦٨) ، دور المرأة السياسي ص ٣٨٠.
(٥) دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١.
(٦) الخلفاء الراشدون ، ص ٣٧٢.
(٧) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١١٨.

٣ - معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

شاع بين الناس قديماً وحديثاً أن الخلاف بين عاى ومعاوية رضي الله عنهما كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج هذا الأخير على علي وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، فقد جاء في كتاب "الإمامة والسياسة" المنسوب لابن قتيبية الدينوري[١] رواية تذكر أن معاوية ادعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فإن صدقك فقد حل خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه [٢].

وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وإنما من كلام الروافض، وسيأتي الحديث عن كتاب "الإمامة والسياسة" وبيان كذبه وزوره ودوره في تشويه حقائق التاريخ في موضعه بإذن الله، وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة [٣].

والصحيح أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابة لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فقد كان رأي معاوية رضي الله عنه ومن حوله الشام أن يقتص علي رضي الله عنه من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة [٤].

ويقول القاضي ابن العربي: إن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أي أهل العراق - يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة [٥].

ويقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدلة: إن معاوية وإن قاتل علياً، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً [٦].

---

(١) هذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة وإنما كاتبه رافضي محترق ، وسيأتي الحديث عنه في نهاية هذا الفصل.
(٢) الإمارة والسياسة (١ / ١١٣).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ١٤٥).
(٤) البداية والنهاية (٨ / ١٢٩) ، فتح الباري (١٣ / ٩٢).
(٥) العواصم من القواصم ص ١٦٢.
(٦) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ص ١١٥.

ويقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي.. فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمه فامتنع علي [١].

لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أن معاوية ﷺ اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي ﷺ إذا أقيم الحد على قتلة عثمان. ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان، حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[٢].

إن معاوية ﷺ كان من كتاب الوحي، ومن أفاضل الصحابة، وأصدقهم لهجة، وأكثرهم حلماً، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل ملك زائل، وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه[٣]، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه: **«اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به»** [٤]، وقال: **«اللهم علمه الكتاب وقه العذاب»** [٥].

أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان ﷺ فيظهر في رفضه أن يبايع لعلي ﷺ قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده [٦].

---

(١) الصواعق المحرقة (٢ / ٦٢٢) ، وهذا اجتهاد معاوية ﷺ، وإن كان الصواب هو: أن يبايع معاوية ثم طالب بالقصاص.
(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ١٥١).
(٤) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ٣٠١٨ ، (٣ / ٢٣٦).
(٥) فضائل الصحابة (٢ / ٩١٣) إسناده حسن.
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥١).

وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه: لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد ويأخذ حقه دون السلطان أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى [١].

ويمكن القول: إن معاوية ﷺ كان مجتهداً متأولاً يغلب على ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكرهم أنه ولي عثمان – ابن عمه – وقد قتل مظلوماً، وقرأ عليهم الآية الكريمة:**{وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً}** [الإسراء: ٣٣].

ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفنى الله أوراحهم [٢]، وإذا قارنا بين طلحة والزبير رضي الله عنهما ومعاوية ﷺ لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية ﷺ من أربعة أوجه:

كان أولها: مبايعتهما لعلي طائعين مع اعترافها بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفاً بفضله [٣].

والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما، ومعاوية لا شك دونهما فيها[٤].

الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط، ولم يتعمدوا محاربة علي ومن معه في وقعة الجمل [٥]، بينما أصر معاوية على حرب علي ومن معه في صفين [٦].

والرابع: لم يتهما علياً بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك [٧].

رابعاً: موقف معتزلي الفتنة:

---

(١) تفسير القرطبي (٢ / ٢٥٦).
(٢) صفين لابن مزاحم ، ص ٣٢ ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٢).
(٣) البداية والنهاية (٨ / ١٢٩) ، فتح الباري (١٣ / ٩٢).
(٤) كان طلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١١٣ ٩ ، تاريخ الطبري (٣ / ٤٧٥).
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٦١٢ – ٦١٥).
(٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٣٩) ، البداية والنهاية (٧ / ٢٥٩).

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة، على قول رسول الله ﷺ **«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً، فليعذ به»** (١).

قال ابن حجر – رحمه الله: ففي الحديث تحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها (٢) وقال رسول الله ﷺ: **«إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس فيها خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي»**، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: **«من كان له إبل فليحلق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه»**، قالوا: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: **«يعمد إلى سيفه فيضرب بحده على حرة، ثم ليتبع ما استطاع النجاء»** (٣).

وقال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم، يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»** (٤)، وغير ذلك من الأحاديث التي تدعو صراحة إلى النهي عن الدخول في قتال الفتنة، قال الجويني: قد صار طوائف من جلة أصحاب رسول الله ﷺ إلى التخلف عن القتال في زمن علي ﷺ وإيثار السكون، والركون إلى السلام والتباعد عن ملتطم الغوائل، منهم سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل(٥)، وكانا من العشرة المبشرين بالجنة، وممن تخلف أولاً: أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو أيوب الأنصاري، وتبع هؤلاء أمم من الصحابة ولم يشتد نكير علي عليهم (٦).

وقد ذهب ابن حجر رحمه الله إلى أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة، قال: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عدداً من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا (٧).

---

(١) البخاري ، كتاب الفتن ٧٠٨١.
(٢) الفتح (١٣ / ٣١).
(٣) مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٤) البخاري ، كتاب الفتن رقم (٧٠٨٨).
(٥) مع العشرة المبشرين بالجنة توفي ٥١ هـ ، تهذيب التهذيب (٤ / ٣٠).
(٦) غياث الأمم في تياث الظلم ، ص ٨٥ – ٨٦.
(٧) فتح الباري (١٣ / ٣٤).

وقال ابن تيمية – رحمه الله: وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من هذا الجانب، ولا من هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي ﷺ في ترك القتال في الفتنة، وبينوا أن هذا قتال فتنة [(١)]، وقد ذهب الإمام القرطبي إلى أن العلة في توقف الصحابة عن المشاركة في القتال مع الإمام علي هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين، فلذلك تخلف أمثال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم [(٢)].

وإليك طرفاً من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة :

١ – سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

كان سعد رضي الله عنه أفضل الصحابة بعد علي رضي الله عنه يوم صفين ولما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد [(٣)].

وأخرج مسلم من حديث عامر قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد صدره فقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي»** [(٤)].

٢ – محمد بن مسلمة رضي الله عنه :

عن الحسن أن علياً بعث إلى محمد بن مسلمة فجيء به فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟ وقال: دفع ابن عمك – يعني النبي ﷺ – سيفاً فقال: **«قاتل به ما قوتل العدو فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً، فاعمد به إلى صخرة، فاضربه بها، ثم الزم بيتك، حتى تأتيك منية قاضية، أو يد خاطئة»**، قال: **«خلوا عنه»** [(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٥٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٦ / ٣١٩).

(٣) مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٤) مسلم (٤ / ٢٢٤٤).

(٥) مسند أحمد (٤ / ٢٢٥) فيه انقطاع ، وله طرق آخر ، رواه الطبراني في الكبير (١٢ / ١٧٧ – ١٧٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٣٠١): ورجاله ثقات.

٣ - أبو موسى الأشعري ﷺ:

عن زيد بن وهب قال:....... جاءنا قتل عثمان، فجزع الناس من ذلك، فخرجت إلى صاحب لي كنت أستريح إليه، فقلت: قد منع الناس ما ترى، وفينا رهط من أصحاب محمد ﷺ، فاذهب بنا إليهم، فدخلنا على أبي موسى، وهو أمير الكوفة فكان قوله نهياً عن الفتنة والأمر بالجلوس في البيوت [١].

وأخرج الطبري قصة قدوم ابن عباس والأشتر إلى الكوفة لاستنفار الناس أن أبا موسى قام - وكان يومها أميراً على الكوفة - فدعا الناس إلى لزوم البيوت، ووضع السيوف في أغمادها، وكان مما قاله يومئذ:... فإنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فأغمدوا السيوف وأنصلوا الأسنة واقطعوا الأوتار، وأووا المظلوم المضطهد، حتى يلتئم الأمر وتنجلي هذه الفتنة [٢].

وقال أيضاً: إن الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت تبينت، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور، فتسكن أحياناً، فلا يدرى من أين يؤتى، تذر الحليم كابن أمس، شيموا سيوفكم، وقصوا رماحكم، وأرسلوا سهامكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم [٣]. وكان أبو موسى يستدل لموقفه بما رواه عن رسول الله ﷺ من النهي عن الدخول في الفتنة والأمر بتكسير القسي، وتقطيع الأوتار، وضرب السيوف بالحجارة، والرضا بمنزلة ابن آدم المقتول [٤].

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة فإن دخل - يعني على أحد منكم - فليكن كخير ابني آدم»** [٥].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ص (٤٨٧ - ٤٨٨).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٣) و جراثيم العرب: أصل العرب.
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٥) ، باقرة: مفرقة ، الصبا: الريح الشرقية.
(٤) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص ١٨١.
(٥) سنن الترمذي (٣ / ٣٣٢) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

٤ - عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

قالت عائشة رضي الله عنها: " ما أعلم رجلاً سلمه الله من أمور الناس، واستقام على طريقة من كان قبله استقامة عبد الله بن عمر "[(١)]، وعن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال في الفتنة، الله يقول:**{وَقَاتِلُوَهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ}** [البقرة: ١٩٣]. فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟ إنما كان محمد يقتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك [(٢)]. وعن نافع أن رجلاً قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع قوله تعالى:**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}** [الحجرات: ٩].

فقال: لأن أعتبر بهذه الآية فلا أقاتل، أحب إليَّ من أعتبر بالآية التي يقول فيها:**{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا}** [النساء: ٩٣] ألا ترى أن الله يقول:**{وَقَاتِلُوَهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ}** [البقرة: ١٩٣] قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً وكان الرجل يفتن في دينه، إما أن يقتلوه، وإما أن يسترقوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة [(٣)].

وقد ورد أن أمير المؤمنين علياً حمد لابن عمر وسعد بن أبي وقاص هذه المنزلة التي ارتضياها، إذ قال: لله در مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، إن كان براً إن أجره لعظيم، وإن كان إثماً إن خطأه ليسير [(٤)]، وفي رواية: لله در منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، والله إن كان ذنباً إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسناً إنه لعظيم مشكور[(٥)].

وقال الخطابي – رحمه الله: وكان ابن عمر من أشد الصحابة حذراً من الوقوع في الفتن، وأكثرهم تحذيراً للناس من الدخول فيها، وبقى إلى أيام فتنة ابن الزبير فلم يقاتل معه، ولم يدافع عنه، إلا إنه كان يشهد الصلاة معه وفإذا فاتته صلاها مع الحجاج، وكان يقول: إذا دعونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم [(٦)].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٢٥٩).
(٢) البخاري ، كتاب الفتن (٨ / ٩٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٢٨ – ٢٢٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٤ / ٤٤٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ١١٩ – ١٢٠) ، مجمع الزوائد (٧ / ٢٤٦).
(٦) العزلة للخطابي ص ٢٠ ، ٢١.

قال ابن تيمية – رحمه الله: ومن حين مات عثمان تفرق الناس، وعبد الله بن عمر الرجل الصالح لحق بمكة، ولم يزل معتزل الفتنة، حتى اجتمع الناس على معاوية، مع محبته لعلي، ورؤيته له أنه هو المستحق للخلافة، وتعظيماً له، وموالاته له، وذمه لمن يطعن عليه ولكن كان لا يرى الدخول في القتال بين المسلمين، ولم يمتنع عن موافقة علي إلا في القتال [(١)].

٥ – سلمة بن الأكوع رضي الله عنه :

لما قتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولاداً، فلم يزل بها حتى أقبل قبل أن يموت بليال فنزل المدينة [(٢)].

٦ – عمران بن حصين رضي الله عنه :

قال عنه الذهبي كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي [(٣)]، وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي: اذهب إلى قومك فانههم عن الفتنة: قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع. فأبلغهم عني وانههم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبداً حبشياً أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهن حتى يدركني أجلي أحب إليَّ من أن أرمي أحد الصفين بسهم أخطأت أم أصبت [(٤)].

٧ – سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه :

قال الذهبى – رحمه الله: وقد اعتزل الفتنة فأحسن ولم يقاتل مع معاوية ولما صفا الأمر لمعاوية وفد سعيد إليه، فاحترمه وأجازه بمال جزيل [(٥)]. وقال ابن كثير: فلما مات عثمان اعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه [(٦)] ولم يعتزل سعيد وحده بل تابعه قوم، اعتزلوا باعتزاله حتى مضت الجمل وصفين [(٧)].

---

(١) منهاج السنة (٦ / ٢٨٥).
(٢) البخاري ، كتاب الفتن (٦ / ٢٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٩).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٠ / ١٥) ، الطبراني الكبير (١٨ / ١٠٥) رجاله رجال الصحيح.
(٥) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٤٦).
(٦) البداية والنهاية (٨ / ٩١).
(٧) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٤٦).

٨ - أسامة بن زيد رضي الله عنه:

قال الذهبي: انتفع أسامة من قول النبي ﷺ إذ يقول له: **«كيف بلا إله الله يا أسامة؟»** فكف يده، ولزم منزله، فأحسن [(١)]، ويريد الذهبي بذلك ما رواه أسامة بن زيد حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية، فاستبقنا أنا ورجل من الأنصار إلى العدو، فحملت على رجل، فلما دنوت منه كبر، وطعنته فقتلته، ورأيت إنما فعل ذلك ليحرز دمه، وذكر الحديث، وفيه: فقال - يعني النبي ﷺ: **«يا أسامة من لك بلا إله إلا الله؟»**، فقلنا: يا رسول الله، إنما قالها تعوذاً من القتل، قال: **«من لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟»** فما زال يرددها [(٢)] حتى قال أسامة: لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وإني أسلمت يومئذ، ولم أقتله ثم قال: إني أعطي لله عهداً، ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله أبداً. فقال النبي ﷺ **«بعدي يا أسامة؟»**، قال: بعدك [(٣)].

وعن حرملة أنه قال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن، فيقول ما خلف صاحبك؟، فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد، لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره [(٤)].

قال ابن حجر - رحمه الله: فاعتذر بأنه لم يتخلف ضناً منه بنفسه عن علي، ولا كراهة له، وإنه لو كان في أشد الأماكن لأحب أن يكون معه فيه ويواسيه بنفسه، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته قتال المسلمين [(٥)]، وفي رواية أخرى عند الذهبي، عن الزهري قال: لقي علي أسامة بن زيد، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا حسن إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد، لأخذت بمشفره الآخر معك، حتى نهلك جميعاً أو نحيا جميعاً، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه، فوالله لا أدخل فيه أبداً [(٦)].

٩ - عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٠ - ٥٠١).
(٢) مسلم رقم (٩٦) ، الحاكم في المستدرك (٣ / ١١٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٥) ، إسناده رجاله ثقات.
(٤) البخاري ، كتاب الفتن (٨ / ٦١ - ٦٨).
(٥) فتح الباري (١٣ / ٦٧).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٤).

فقد ورد عنه أنه لما سئل عن خروجه مع معاوية وأبيه إلى صفين، أنه لم يخرج لقتال وإنما خرج طاعة لأبيه، فعن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تقتله الفئة الباغية»** فقال معاوية: يا عمرو، ألا تغني عنا مجنونك، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال **«أطع أباك ما دام حياً»** فأنا معكم ولست أقاتل [١]. وورد ما يدل على ندمه على حضوره صفين فقد أخرج ابن سعد بسنده عن ابن أبي مليكة [٢]، قال: قال عبد الله ابن عمرو: ما لي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين لوددت أني مت قبلها بعشر سنين أما والله على ذلك ما ضربت بسيفي، ولا رميت بسهم [٣].

١٠ - صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه :

قال الذهبي: وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه [٤]، وعن جعفر بن برقان، أن ميمون بن مهران ذكر أصناف الناس واختلافهم في أمر عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وكان مما قاله: وأما من لزم، فمنهم سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وحبيب بن سلمة الفهري، وصهيب بن سنان، ومحمد بن مسلمة في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان، قالوا جميعاً: نتولى عثمان وعلياً، ولا نتبرأ منهما، ونشهد عليهما وعلى تشيعهما بالإيمان ونرجو لهم ونخاف عليهم [٥].

١١ - أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه :

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وخليفة بن خياط في تاريخه وابن سعد في الطبقات عن شعبه قال: سألت الحكم: هل حضر أبو أيوب صفين؟ قال: لا، ولكن شهد يوم النهر موقعة النهروان [٦].

---

(١) مسند أحمد (٢ / ١٦٤) إسناده صحيح ، تهذيب التهذيب (٣ / ٥٢).
(٢) أبو بكر عبد الله التميمي روى عن العبادلة الأربعة ، تهذيب التهذيب (٥ / ٢٦٨).
(٣) طبقات ابن سعد (٤ / ٢٦٦) رجاله ثقات.
(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨).
(٥) دول الإسلام (١ / ٢٩) ، تاريخ دمشق ص ٥٠٣ ، ٥٠٥.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٣٠٣) ، تاريخ خليفة ص ١٩٦ ، الطبقات (٣ / ٢٤٩).

١٢ – أبو هريرة رضي الله عنه :

فقد ورد أنه لم يشارك في الجمل ولا صفين وهو أحد رواة أحاديث النهي عن الـدخول في الفتنة فقد قال: قال رسول الله ﷺ : **«ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به»** (١).

١٣ – عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه :

قال الذهبي: ولي مصر لعثمان، وقيل شهد صفين، والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانـزوى إلى الرملة (٢).

هذا غيض من فيض وقليل من كثير من أقـوال الصـحابة الـذين اعتزلـوا الفتنـة، فلـم يشاركوا فيها، بل إن بعضهم كان يحذر غيره من المشاركة، وهـو اقتنـاع تكـون لـديهم، مـن خلال الأحاديث التي رووها، والتي فيها النهي عن الدخول في الفتن التي تقع بين المسـلمين، وقد فرق هؤلاء الصحابة بين قتال الخوارج والقتال في الجمل وصفين، فقد شـارك في قتـال الخوارج عدد منهم كأبي برزة وأبي أيوب الأنصاري وهما ممن اعتزل الفتنة بين المسلمين في الجمل وصفين، وأيضاً فإن هؤلاء الصحابة الذين اعتزلوا سرعان ما بايعوا معاوية، بعـد أن تنازل لـه الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة واجتمعت عليه كلمة الأمة.

وقال ابن حجر – رحمه الله: وبايع معاوية كل من كان معتزلاً للقتال كـابن عمـر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة (٣).

إن الذي نفهمه من خلال هذه النصوص التي أوردناها، أن علة كـف هـؤلاء الصـحابة عن الدخول مع أحد الطرفين، قـد يكـون لأن الأمـور كانـت مشـتبهة علـيهم – كمـا قـال النووي: فلم يتبينوا المحق من المبطل وكما يظهر من كلام سـعد بـن أبـي وقـاص رضي الله عنه، وقـد يكون لأنهم لم يروا أن القتال هو الحل الوحيد لهذه المشكلة، لأن الصلح خير، ومن الصـلح أن يتم التنازل عن بعض الحق، جمعاً لكلمة المسلمين، ولعلنا نلمح من كلام أسامة رضي الله عنه شيئاً من هذا التوجيه، فقد اعتذر لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنه لا يرى القتال معه في هذا السـبيل،

---

(١) مسلم ، كتاب الفتن (٤ / ٢٢١١ – ٢٢١٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٣).

(٣) أحداث وأحاديث الفتنة ، ص ٢١٢ عبد العزيز دخان.

رغم اعترافه بإمامته وفضله [١].

وقد تحدث العلماء في أعذار المعتزلين:

أ – قال القرطبي: وقيل: إن من توقف من الصحابة قد حمل الأحاديث الواردة بالكف على عمومها، فاجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال [٢].

ب – قال ابن حزم: وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه [٣].

ج – وقال ابن حجر: والحق حمل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين على السداد، فمن لابس القتال اتضح له الدليل، لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية، وكانت له القدرة على ذلك، ومن قعد لم يتضح له أي الفئتين هي الباغية، أو لم تكن له القدرة على القتال، وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي، وكان مع ذلك لا يقاتل، فلما قتل عمار قاتل حينئذ، وحدث بحديث: **«تقتل عماراً الفئة الباغية»** أخرجه أحمد وغيره [٤].

د – وقال الجصاص: فإن قيل: قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم سعد، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وابن عمر قيل له لم يقعدوا عنه لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية، وجائز أن يكون قعودهم عنه لأنهم رأوا الإمام مكتفياً بمن معه، مستغنياً عنهم بأصحابه، فاستجازوا القعود عنه لذلك، ألا ترى أنهم قعدوا عن قتال الخوارج، لا على أنهم لم يروا قتالهم واجباً لكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة القتال [٥].

خامساً: موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي ومن معه:

كان أمير المؤمنين على ﷺ ينتظر حتى يستتب له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور

(١) أحداث وأحاديث الفتنة ، ص ٢١٢.
(٢) التذكرة (٢ / ٢٢٣).
(٣) الفصل (٣ / ٧٨).
(٤) فتح الباري (١٣ / ٤٦).
(٥) أحكام القرآن (٥ / ٢٨١).

فتؤخذ الحقوق، لأن الظروف لم تكن مواتية لجلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين علي ﵁ إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم - قتلة عثمان - وهو خير من شر منه: القتال والفرقة [١].

لقدر رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه فأخر القصاص من أجل هذا، وهذا فيه اقتداء بالنبي ﷺ في حادثة الإفك، وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها مجموعة من الناس وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول، فصعد النبي ﷺ وقال: **«من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي؟»**: يعني عبد الله بن أبي ابن سلول فقام أسيد بن خضير وقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان منا معشر الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله، فقام سعد بن عبادة فرد عليه سعد بن معاذ، وقام أسيد بن حضير وقال: أنا أعذرك منه يار سول الله، إن كان منا معشر الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله، فقام سعد بن عبادة فرد عليه سعد بن معاذ، وقام أسد بن حضير فرد على سعد بن عبادة، فصار النبي ﷺ يخفضهم [٢] وقد علم أن الأمر عظيم، ذلك أنه قبل مجيء النبي ﷺ إلى المدينة، كان الأوس والخزرج اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله بن أبي ابن سلول ملكاً عليهم فهو له عندهم منزلة عظيمة، وهو الذي رجع بثلث الجيش في معركة أحد، والنبي ﷺ هنا ترك إقامة الحد على عبد الله بن أبي ابن سلول لماذا؟، للمصلحة والمفسدة، إذ رأى أن جلده أعظم مفسدة من تركه، وكذلك أمير المؤمنين علي ﵁ رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله لأن علياً ﵁ لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلاً، لأن لهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب وما زالت فتنة، ومن يقول إنهم لن يقتلوا علياً ﵁؟ وقد قتلوه بعد ذلك [٣].

كان أمير المؤمنين علي ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوى ويكون الجواب، وتقوم البينة ويجري القضاء في مجلس الحكم [٤]، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة [٥]، وأما ما أثير عن وجود قتلة

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٠).
(٢) البخاري ، كتاب المغازي رقم (٤١٤١).
(٣) حقبة من التاريخ ص ١٠٢.
(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٦).
(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ١٧١٨).

عثمان في جيش أمير المؤمنين علي ﷺ وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: وكان في عسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله [١].

وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، والمتبرئ من فعلهم، وكان راغباً في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً.

وتجلى هذا في أمرين:

١ - موقفه من قتلة عثمان:

لقد أنكر علي ﷺ قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع [٢]، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان ﷺ [٣]، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله ﷺ، فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي ﷺ، فإنه كذب وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه [٤].

وقال ابن تيمية – رحمه الله: وهذا كله كذب على علي ﷺ وافتراء عليه فعلي ﷺ لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد ورد عنه ذلك وهو الصادق البار [٥]، وقد قال علي ﷺ: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان [٦]، وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن سعد بن عبادة قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ **«ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»**، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصروا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم

---

(١) شرح الطحاوية ، ص ٥٤٦.
(٢) البداية والنهاية (٧ / ٢٠٢).
(٣) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، ص ٢٢٩.
(٤) المستدرك (٣ / ١٠٣).
(٥) منهاج السنة (٤ / ٤٠٦).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢) إسناده حسن.

جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى [١].

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد ابن الحنفية قال: بلغ علياً أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد [٢] قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثاً [٣].

وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن علياً قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثاً [٤]، وجاء عنه أيضاً أنه قال ﷺ: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت [٥]، وكان يثني على عثمان ﷺ وقال فيه: كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب[٦].

وعن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها فقال علي: يقول الله عز وجل:**{وَلَهُ الجَوَارِ المُنشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ}** [الرحمن: ٢٤]، والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله [٧].

وقال علي ﷺ: إنما وهنت يوم قتل عثمان [٨]، وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي ﷺ أنه تبرأ من دم عثمان وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[٩].

٢ - محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه :

كان ﷺ يعاملهم بحذر شعوراً منه بخطرهم، حتى إنه لم يول أحد منهم عند إرادة خروجه للشام حيث دعاه ولده محمد ابن الحنفية وسلمه اللواء وجعل عبد الله بن عباس

(١) المستدرك (٣ / ٩٥) حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٢) موضع قرب البصرة بينهما ثلاثة أميال.
(٣) فضائل الصحابة (١ / ٥٥٥) رقم (٧٣٣) إسناده صحيح.
(٤) الطبقات ، (٣ / ٨٢) ، البداية والنهاية (٧ / ٢٠٢).
(٥) الرياض النضرة ، ص ٥٤٣.
(٦) صفة الصفوة (١ / ٣٠٦).
(٧) فضائل الصحابة (١ / ٥٥٩ - ٦٦٠) إسناده صحيح لغيره ، رقم ٣٧٩.
(٨) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥ / ٦١).
(٩) البداية والنهاية (٧ / ١٩٣).

ﷺ على المسيرة، وجعل على مقدمة الجيش أبا ليلى بن عمر بن الجراح [(١)]، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ﷺ [(٢)].

وهذه بادرة منه ﷺ ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين، ويثبت قدرته على السيطرة على أمر المسلمين من غير عون منهم، فقد كان له في المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يغنيه عن الاستعانة بهم والتودد إليهم وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك، وهو كاف في عذره، لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر في جيشه، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشدة أن يمتد حبل الفتنة في الأمة [(٣)]، وحين تم الصلح بين أمير المؤمنين علي وطلحة والزبير وعائشة على يدي القعقاع بن عمرو - سيأتي تفصيل ذلك - خطب أمير المؤمنين علي ﷺ عشية ذلك اليوم، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حدث هذا الحادث الذي جره على الأمة أقوام - قتلة عثمان - طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه، وعلى الفضيلة التي من الله بها، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره [(٤)].

ثم قال: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم [(٥)]. ويناقش الإمام الباقلاني موضوع توقيع عقوبة القصاص على قتلة عثمان، مبدياً رأيه لموقف علي ﷺ في تأخير إجراء القصاص إلى حين إمكانه، فيقول: وعلى أنه إذا ثبت أن علياً ممن يرى قتل الجماعة بالواحد، فلم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البينة على القتلة بأعيانهم، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم.

وبأن يؤدى بالإمام اجتهاده إلى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلى هرج عظيم وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه، وإن تأخير إقامة الحد إلى وقت إمكانه

---

(١) تاريخ الطبري ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٨).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٠).
(٣) إفادة الأخبار للتباني (٢ / ٥٢) نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٩).
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٥).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٥).

وتقصي الحق فيه أولى وأصلح للأمة وألم لشعثهم وأنفى للفساد والتهم عنهم [(١)].

ويبرر ابن حزم موقف علي ﷺ في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: فنقول وبالله التوفيق: أما قولهم: إن أخذ القود من قتلة عثمان المحاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ، الساعين في الأرض بالفساد والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم، وما خالفهم علي قط في ذلك ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جماً لا طاعة له عليهم، فقد سقط عن علي ﷺ ما لا يستطيع فعله كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق.

قال الله تعالى:**{لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}** [البقرة: ٢٨٦] وقال رسول الله ﷺ: **«إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»** [(٢)]، ولو أن معاوية بايع علياً لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصح أن الاختلاف هو أضعف يد علي ﷺ عن إنفاذ الحق عليهم ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه على قتلة عبد الله بن خباب [(٣)]، إذ قدر على مطالبة قتلته[(٤)].

وينقل ابن العربي وجهة نظر علي ﷺ بقوله: وعلي ﷺ يقول: لا أمكن طالباً من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم [(٥)] ثم يعقب: أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً، وأما كونه لهذا السبب، أي سبب الخلاف حول القصاص من قتلة عثمان، فمعلوم كذلك قطعاً، وأما الصواب فيه فمع علي، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإذا ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه، وأي كلام كان يكون لعلي - لما تمت له البيعة - لو حضر عنده ولي عثمان وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون، ماذا كان يقول إلا أثبت وخذ، وفي يوم يثبت إلا أن يثبتوا هم - أي قتلته - أن عثمان كان مستحقاً للقتل، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً، وكان يكون الوقت أمكن للطالب وأرفق في الحال، وأيسر وصولاً إلى

(١) التمهيد للباقلاني ، ص ٢٣١ ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٩).
(٢) البخاري ، كتاب الاعتصام (٨ / ١٤٢).
(٣) قتلة الخوارج وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.
(٤) الفصل في الملل والنحل (٤ / ١٦٢).
(٥) العواصم من القواصم ، ص ١٦٣.

المطلوب [١].

إن علياً رضي الله عنه كان إماماً، وإن كل من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب حتى ينقاد إلى الحق، ولا شك أن رده على أهل الشام بدخولهم في البيعة ثم يطلبون الحق - أي القصاص من قتلة عثمان - كان في ذلك أسد رأياً وأصوب قيلاً، لأنه لو اقتص من قتلة عثمان، والأمر لم يستتب له بعد لتعصب لهؤلاء قبائلهم، فتصير حرباً ثالثة، فكان ينتظر أن يمسك بزمام الأمر ليقع الطلب من هؤلاء الجناة، ويجري القضاء فيهم بالحق [٢].

أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والذين منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين - كما قالوا بإصابته في قتل أهل الجمل - وقالوا أيضاً: إن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم [٣].

ويلخص ابن تيمية رأي علي رضي الله عنه في قوله: فهو يرى أنه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته.. وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة [٤] إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان المندسون في جيشه وهم كثرة، ولا سيما أهل الكوفة والبصرة منهم، فصاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، فكان علي يرى أن إقامة الحد عليهم سيفتح عليه باباً ربما لا يستطيع سده بعد ذلك، وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين وطلحة والزبير فأذعنوا له وعذروا علياً، ووقفوا على موقفه ذاك، ورأيه السديد المتمثل في دفع أدنى المفسدتين، وارتكاب أخف الضررين، إن السياسة الحكيمة تقتضي ما كان ينادي به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من التريث والأناة وعدم الاستعجال، إذ إن الأمر يحتاج إلى وحدة الصف والكلمة لإيجاد موقف موحد ومواجهة ذلك التحدي الذي يهدد مركز الخلافة، بيد أن الخلاف في الرأي أضعف مركز الخليفة الجديد، وقضى على كل الآمال في أخذ القصاص من قتلة

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة ٢ / ١٦١).
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٦١).
(٣) أعلام النصر المبين ، لابن دحية ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٦٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٧٢ / ٣٥٠).

عثمان [١]، وهناك أدلة قوية تبين أن علياً كان محقاً أكثر من طلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم.

١ - ما رواه البخاري من طريق أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: **«ويح عماراً تقتله الفئة الباغية»** [٢]. يقول ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه[٣]، ويقول النووي: إن الروايات - أي عن النبي ﷺ - صريحة في أن علياً رضي الله عنه كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها التصريح بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون [٤].

٢ - وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ذكر النبي ﷺ قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق - الخوارج - قال: **«هم شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»** [٥].

وفي رواية: **«يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق»** [٦].

ففي الحديث دلالة واضحة على أن علياً رضي الله عنه كان أدنى إلى الحق من مخالفيه في الجمل وصفين.

سادساً: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة - رضي الله عنهم جميعاً - وكان وصولها إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريباً، أي في ربيع الآخر من عام ٣٦هـ [٧]، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة رضي الله عنها، للخروج وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئاً لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنهم لا تكفير لذنبهم هذا - حسب قولهم - إلا الخروج للمطالبة بدمه، علماً بأن عثمان هو الذي نهى كل من أراد أن يدافع عنه في حياته

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٦٣).
(٢) البخاري ، كتاب الجهاد (٣ / ٢٠٧).
(٣) الفتح (١ / ٥٤٢).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٧ / ١٦٨).
(٥) مسلم رقم (١٠٦٥)
(٦) مسلم (٢١ / ٧٤٦).
(٧) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٩).

تضحية في سبيل الله، فعائشة تقول: إن عثمان قتل مظلوماً والله لأطالبن بدمه [١]، وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه [٢]، والزبير يقول: ننهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً، إذا لم يفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب [٣].

فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلاً بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى، فشيعه أولاده بالبكاء وسمي يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب، فلم ير يوم كان أكثر باكياً على الإسلام، أو باكياً له من ذلك اليوم [٤].

لقد توافرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم، ومن هذه العوامل: أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة، ومنها: أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان - كان في مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها: أن يعلى بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة، وقد قتل الخليفة ومعه من المال والسلاح والدواب شيء لا بأس به فعرض كل ذلك للمساعدة في قتل قتلة عثمان، فكان هذا كفيلاً لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدءون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها فقال بعضهم - على رأسهم السيدة عائشة - : إن المدينة هي وجهتهم، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معاً ضد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل قر رأيهم على البصرة، لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم، ولأن الشام صار مضموناً لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى في هذه الخطة لأنها أقل البلدان قوة وسلطة، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم [٥]، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم، أو أثناء طريقهم، أو عند وصولهم إلى البصرة وهي: المطالبة بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٤).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٧).
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٧) ، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع: ص (٤١٧).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٦) ، دراسات في عهد النبوة: ص (٤١٨).

بالمعروف والنهي عن المنكر [١]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله [٢] وأنه إذا لم يؤخذ على يد قتلة عثمان رضي الله عنه فسيكون كل إمام معرضاً للقتل من أمثال هؤلاء [٣]، وأما الطريقة التي تصورها فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يضيقوا الخناق على قتلي عثمان الموجودين في جيش علي فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا [٤].

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة التي ظهرت للناس كثأر لعثمان رضي الله عنه، وكأنه رجل من عوام الناس قتل، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره، رغم كونه حداً من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة، وقتله بالصورة التي تمت، كان فوق ذلك، ومعه اغتيال لصفة شرعية هي "الخلافة" التي يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به [٥]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين [٦].

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان، وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد، فلقد بات واضحاً عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة - رضي الله عنها - أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش علي، وأنه لأجل ذلك فإن علياً رضي الله عنه يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء، وهو هدف لا نشك أن علياً كان يسعى إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعلي تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية في تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعي تام

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٩ ٩.
(٢) دراسات في عهد النبوة: ص (٤١٩).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٧).
(٤) دراسات في عهد النبوة: ص (٤١٩).
(٥) مقدمة ابن خلدون: ص (١٩١).
(٦) دور المرأة السياسي: ص (٣٩١)

منهم بأساليب السيئة في اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال فكان لابد من مواجتها في ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحاً، وصريحاً في الروايات الصحيحة [(١)]، التي تحدثت فيها السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن أهداف هذا الخروج، فروى الطبري أن عثمان ابن حنيف - وهو والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرسل إلى عائشة - رضي الله عنها - عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت**{لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}** [النساء: ١١٤]، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره [(٢)].

وروى ابن حبان أن عائشة - رضي الله عنها - كتبت إلى أبي موسى ألأشعري - والي على الكوفة -: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[(٣)]. ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس [(٤)].

---

(١) دور المرأة السياسي: ص (٣٩٤).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٠).
(٣) الثقات لابن حبان (٢ / ٢٨٢).
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٠).

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء علي إلى عائشة – رضي الله عنها – فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح [(١)]. فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد على من طعن في عائشة – رضي الله عنها – من الشيعة الروافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله:**{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}** [الأحزاب: ٣٣] فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعاً، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين – عائشة – في خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير [(٢)].

قال ابن تيمية في الرد على الرافضة في هذه المسألة: فهي – رضي الله عنها – لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة – رضي الله عنها – وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن بعده كما كن يحججن معه، في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك [(٣)].

ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا لها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله:**{لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}** [النساء: ١١٤]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد[(٤)].

---

(١) شذرات الذهب (١ / ٤٢).

(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٤٤).

(٣) منهاج السنة (٤ / ٣١٧ – ٥٧٠).

(٤) أحكام القرآن (٣ / ٥٦٩ ، ٥٧٠).

وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها:

١ - هل أكرهت السيدة عائشة على الخروج؟

زعم اليعقوبي أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج [١]، وقال بهذا القول صاحب الإمامة والسياسة [٢]، وابن أبي الحديد [٣]، وكذلك فعل الدينوري [٤]، وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله بن الزبير [٥] - ابن أختها أسماء - وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل [٦]، فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج، وزاهية قدورة [٧] وغيرهما، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله ﷺ وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة، ذلك أنه قد روى أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعزوا الإسلام. فكان عبد الله أول من أجابها [٨]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعد مامر على مقتل عثمان أربعة أشهر [٩].

٢ - هل كانت متسلطة على من معها؟:

كان فيمن خرج معها - رضي الله عنها - جمع من الصحابة [١٠]، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت - كما زعم بروكلمان [١١]، وقد أكدت روايات الطبري تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٨٠ ، ٢٠٩).
(٢) الإمامة والسياسة (١ / ٥٨ ، ٦٩).
(٣) شرح نهج البلاغة (٩ / ١٨).
(٤) الأخبار الطوال: ص (١٤٥)
(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٩٣).
(٦) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (٥٢٦).
(٧) عائشة أم المؤمنين: ص (١٨٤).
(٨) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٥).
(٩) دور المرأة السياسي: (٣٨٣) ، تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٩).
(١٠) المصدر نفسه: ص (٣٨٤).
(١١) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص (١١١، ١١٤ ، ١١٧).

قليل من أهل البصرة لها [١]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم [٢]، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون [٣]، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعاً من السفهاء والغوغاء والأوباش [٤]، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم [٥]. وسيأتي بيان ذلك أنه لم يكن خروجاً غوغائياً، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين، بل كان خروجاً واعياً شارك فيه بعض الصحابة الكبار [٦].

٣ – موقف أزواج النبي ﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان:

كانت أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قتل أقمن بمكة، وكن قد خرجن منها فرجعن إليها، وجعلن ينتظرن ما يصنع الناس ويتحسسن الأخبار، فلما بويع علي خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين [٧]، وكانت بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة [٨]. كان الخروج في أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة، وإنما عزم [٩] عليها أخوها عبد الله كي لا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجاً عن اقتناع منها [١٠]، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلى

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٥).
(٢) تاريخ الطبري نقلاً عن دور المرأة السياسي: ص (٣٨٥).
(٣) تاريخ الطبري نقلاً عن دور المرأة السياسي: ص (٣٨٥).
(٤) انظر ما قاله صاحب الإمامة والسياسة (١ / ٥٧).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥٧٤).
(٦) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٥).
(٧) البداية والنهاية (٧ / ٢٤١).
(٨) البداية والنهاية (٧ / ٢٤١).
(٩) عزم عليها: أقسم عليها
(١٠) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٦).

عائشة بعذرها [١]. وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمة - رضي الله عنها - لم تكن ترى رأي عائشة ومن معها في الخروج إلى البصرة، وأنها كانت ترى ما يراه علي [٢]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى علي ابنها عمر بن أبي سلمة قائلة: والله لهو أعز علي من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه [٣] وهي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون علياً ﷺ أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح [٤]، وكانت أمهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنى الفرض الكفائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهاً إلى جميع المتكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به، لا على الجميع عموماً، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوافرة تماماً في السيدة عائشة: مكانة وسناً وعلماً وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهاً بإجماع جمهور المسلمين [٥]، كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها في بيت رسول الله ﷺ الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء هذه المكانة للسيدة عائشة فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا... ولا بقضاء، ولا بطب منها [٦]. كان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت السيدة عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة [٧]. وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم، وأحد بلغاء

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٧).
(٢) أنساب الأشراف (٤ / ٢٢٤).
(٣) أسد الغابة (٤ / ١٦٩)، الإصابة (٤ / ٤٨٧)، دور المرأة السياسي ص (٣٨٧)، المستدرك مرويات أبي مخنف: ص (٢٥٧).
(٤) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨٣).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨٣).
(٧) المصدر نفسه (٢ / ١٨٣).

العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء بعدهم... فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا [١]. هذا وقد خرج أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة والتشجيع لها على أمرها [٢].

٤ - مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب:

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صحيحة، فعن يحيى بن سعيد بن القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن حازم أن رسول الله ﷺ قال لأزواجه: **«كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب»** [٣]. ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفظ شعبة: أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب. فقال لها الزبير: أترجعين؟ عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس [٤]. وبهذا اللفظ أخرجه يعلي بن عبيد عن وهو عند الحاكم [٥]، وقال الألباني: إسناده صحيح جداً وقال: صححه من كبار أئمة الحديث: ابن حبان، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر [٦]. فهذه الروايات الصحيحة ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة [٧] التي سيأتي بيانها. إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمر على ماء الحوأب؟ والروايات الدالة على النهي، والتي بها لفظ إياك في الأثر الوارد: **«إياك أن تكوني يا حميراء»** [٨] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له

(١) المصدر نفسه (٢ / ١٨٣).
(٢) دور المراة السياسي: ص (٣٨٩).
(٣) مسند أحمد (٦ / ٩٧).
(٤) مسند أحمد (٦ / ٩٧).
(٥) المستدرك (٣ / ١٢٠).
(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٧٦٧) رقم ٤٧٤.
(٧) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٦).
(٨) قال الذهبي: كل حديث فيه يا حميراء لا يصح ، سير أعلام النبلاء (٢ / ١٦٧ ، ١٦٨).

الأثر البعيد على السيدة عائشة نفسها بحيث تفكر جدياً في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعي لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون "ظناً" منها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة وهو ظن لم يتلبث إلا يسيراً ثم عاد هدفها واضحاً بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين [١]، لقد كانت وما زالت مسألة ماء الحوأب [٢] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصباً للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها – في زعمهم – لنهي رسول الله ﷺ لها عن أن ترد ماء الحوأب، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع [٣]. ويروي الفزازي هذا الخبر عن على بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قاله ابن حجر والنسائي [٤]، وهو يروى هذا الخبر عن الخطاب الهجري وهو مجهول [٥]، وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان ابن قبيعة الأحمسي [٦]، ثم أخيراً عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلي بن أمية [٧].

وفي متن هذه الروايات ما يجده القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية حيث تزعم على لسان علي أنه كان ﷺ يرى أحقيته بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تماماً [٨]. وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة [٩]، وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع كلها باطلة سنداً ومتناً، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية

(١) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٥).
(٢) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها
(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (١ / ٥٢٨)، ميزان الاعتدال (١ / ٤١٣).
(٤) تقريب التهذيب (١ / ٦٩٧).
(٥) تقريب التهذيب (٢ / ٣٩٢)، دور المرأة السياسي: ص (٤٠٠).
(٦) ميزان الاعتدال (٣ / ٤٣٤) و لسان الميزان (٣ / ٢٢٥).
(٧) أسد الغابة (٥ / ٤٨٦)، دور المراة السياسي: ص (٤٠٠).
(٨) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٢).
(٩) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٣).

شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير – رضي الله عنهما – [١] كما يريد مفترى هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرؤون على انتهاك حرمات الله، فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحوأب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفساً – وفي رواية بخمسين نفساً – يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل – كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي – أول شهادة زور في الإسلام [٢]. وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين ﭫ ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد، وتحاول أن تظهر أن عائشة – رضي الله عنها – بجانب طلحة ﭬ وفي قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة، وذلك لأنه تيمي مثلها، كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافساً داخلياً بين طلحة والزبير، وحرصاً من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوي، فبعضها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون، أو فيها كلا العيبين الفادحين [٣]. ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وأسهموا في نشرها، وهي لا أساس لها، كالعقاد في عبقرية علي، وطه حسين في علي وبنوه [٤]، وغيرهما من الكتاب المعاصرين.

٥ – أعمالهم في البصرة:

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة ﭫ ومن معهم إلى البصرة نزلوا بجانب الخريبة [٥]، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان ﭬ إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقاً، ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٣) ضعيفة السند منقطعة ، وأنساب الأشراف من (٢ / ٤٧) نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.

(٢) مروج الذهب (٢ / ٣٦٧).

(٣) تاريخ الطبري وفي إسنادها مجهولان ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٣٣).

(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٣٢).

(٥) موقع جانب البصرة ، انظر: خطط البصرة ومنطقها ١١٤ – ١٢٢ العلمي.

ينكره صحابي واحد، جعل كثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان، والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة، يقول الأحنف واصفاً هول الموقف:.. فأتاني أفظع أمر أتاني قط فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد [١] إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين [٢]. ويذكر الزهيري أن عامة أهل البصرة تبعوهم [٣] وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها. وقد ابن حاول حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا [٤]. وحتى معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها [٥].

وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جلبة في القتال، وهذا لا يثبت، والمصادر الصحية لم تثبت ذلك [٦].

٦ - مقتل حكيم بن جلبة ومن معه من الغوغاء:

أقبل حكيم بن جلبة بعدما خطبت عائشة - رضي الله عنها - في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير ﷺ رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حكيم ومن معه، ولم يثن، وظل يقاتلهم، وطلحة والزبير كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر [٧] خيله ويركبهم بها [٨]، وعلى الرغم من ذلك فإن عائشة - رضي الله عنها - ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيداً عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم [٩]، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جلبة وهو

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٣٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٥ / ٤٥٦) له شواهد تقويه.
(٣) مصنف عبد الرزاق (٥ / ٤٥٦) بسند صحيح إلى الزهيري مرسلاً.
(٤) الطبقات (٦ / ٣٣٣).
(٥) فتح الباري (١٣ / ٢٦) ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٣٧).
(٦) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٣٧).
(٧) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.
(٨) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٩).
(٩) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٩).

يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة – رضي الله عنها – ومن معها، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله [(١)]، وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتمر [(٢)] منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا ندعك حتى يقيدك الله [(٣)]، فرجعوا وتركوه، ومضى حكيم بن جلبة فيمن غزا معه عثمان بن عفان ﷺ وحصره من نزاع القبائل كلها فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالاً شديداً [(٤)]، وظل منادي عائشة – رضي الله عنها – يناديهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون [(٥)]، وجعلت – رضي الله عنها – تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حكيماً لم يرع [(٦)] للمنادي، وظل يسعر القتال، عندئذ وبعد ما تبينت للزبير وطلحة – رضي الله عنهما – طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون وأنهم لا يتورعون ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفاً في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحداً، وأقد منهم اليوم، فاقتلهم فجادوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان ﷺ فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحداً، فاقتتلوا أشد القتال [(٧)]، فلم يفت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحداً وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم [(٨)]. وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء – كما قالت عائشة – قد غادوها في بيتها في الغلس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سدة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها – رضي الله عنها – فدارت عليه الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم [(٩)]، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤونة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا في ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم،

---

(١) المصدر نفسه (٥ / ٤٩٩).

(٢) اغتمر: اغتمس

(٣) يقيدك الله: القود: القصاص ، وقتل القاتل بالقتيل.

(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٩).

(٥) المصدر نفسه (٥ / ٤٩٩).

(٦) لم يرع: لم يبال

(٧) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٩).

(٨) المصدر نفسه (٥ / ٥٠١).

(٩) المصدر نفسه (٥ / ٥٠٣).

وأخلى سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى على [(١)]، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين ﷺ على البصرة وقتلوا عدداً كبيراً ممن شارك في الهجوم على المدينة، قدر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جلبة، والذي كان حريصاً على القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير المؤمنين، فقد بويع على ذلك [(٢)].

٧ - رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى:

كانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال من أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضاً تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونزاعهم، فردونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم حرقوص بن زهير والله مقيده. وإنا نناشدكم الله - سبحانه - في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا [(٣)].

٨ - الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة:

روى الطبري عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ قالت: ردوا أباناً فردوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه. قال: لو علمت أنك تدعيني لهذا لم أرجع. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطاً، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه [(٤)]، وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعي رافضي محترق، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة. والذي يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٣) ، خلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٣٨).
(٢) أنساب الأشراف (٢ / ٩٣) بسند حسن ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٣٩).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٠١).
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٧).

الذين فعلوا ذلك، وأن طلحة والزبير - رضي الله عنهما - استشنعاه، واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء [١]، وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير [٢]، وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف [٣]، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر [٤].

سابعاً: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة ﷺ في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة، فقد تبين ذلك حينما هم علي بالنهوض إلى الشام، ليزور أهله وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع [٥]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق [٦]، فلما علم أبو أيوب الأنصاري ﷺ بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان وإن تشغب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حيئذ إلى السير سرت وقد أعذرت...، فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار [٧]، ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً.. من أهل الشام [٨]، وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة [٩]، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل مع بعض أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلابد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٧).
(٢) نهاية الأرب (٢٠ / ٣٨) ، البداية والنهاية (٧ / ٢٣٣).
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ، مرويات أبى مخنف في تاريخ الطبري: ص (٣٥٩).
(٤) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص (٢٥٩).
(٥) الثقات لابن حبان (٢ / ٢٨٣) ، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦١).
(٦) الثقات لابن حبان (٢ / ٢٨٣) ، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦١).
(٧) الثقات لابن حبان (٢ / ٢٨٣) ، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦١).
(٨) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (١٨٣).
(٩) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨١).

لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر.. وروى الطبري أن علياً ﷺ خرج في تعبئته التي كان تعبى بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل [(١)]، والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة أمير المؤمنين للخروج كثيرة، منها: خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل [(٢)]، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم [(٣)].

وقد عبر أبو حميد الساعدي الأنصاري – وهو بدرى – عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك علي أن لا أضحك حتى ألقاك [(٤)]. فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق في الفتنة التي يخشون عواقبها [(٥)]، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ [(٦)]، وما سبق ذكره لا يعني أنه لم يشارك أحد من الصحابة في مسيرة الخليفة، بل شارك البعض، لكنهم كانوا قليلاً، قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب[(٧)]، وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدراً أكثر من أربع نفر فكذبه، كان علي وعمار في ناحية وطلحة والزبير في ناحية [(٨)]، وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع [(٩)].

وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل. قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي ﷺ أكثر من عشرة آلاف، فما يعدون من خف فيها عشرين رجلاً، فسميت حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة [(١٠)]، فيتتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨١).
(٢) الطبقات (٣ / ٢٣٧) ، والأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٣).
(٣) البداية والنهاية نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي: (١٦٤).
(٤) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين
(٥) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٤).
(٦) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٤).
(٧) تاريخ خياط: ص (١٦) ، مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٧١٠).
(٨) العثمانية للجاحظ: ص (١٧٥) ، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٥).
(٩) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير ، كنعان: ص (٣٥٦).
(١٠) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير ، كنعان: ص (٣٥٦).

الخليفة علي إلى البصرة كان قليلاً ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى [(١)]. إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل [(٢)]. والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجاماً مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث [(٣)].

١ - نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول ﷺ أن يثني عزم أمير المؤمنين علي عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبداً، كان علي يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، ولكن من مع علي من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمراً هيناً لا يرون به بأساً، وفي قولهم وتهجمهم هذا دليل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن علياً رضي الله عنه نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح [(٤)].

٢ - نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة [(٥)] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين [(٦)]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن - رضي الله عنهما - وهو باك لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن [(٧)] خنين

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٥).

(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨١).

(٣) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف: ص (٣٨٨).

(٤) مسند أبي يعلي (١ / ٣٨١) قال محققه: إسناده صحيح.

(٥) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٠٤ كيلو مترات.

(٦) أنساب الأشراف (٢ / ٤٥)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٣).

(٧) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٢) خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط عثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب [١]، ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أي بني [٢]. كان موقف أمير المؤمنين علي حازماً في هذه المشكلة واضحاً ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه، وأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما و إذ إن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة [٣]، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم [٤].

٣ - استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار [٥]:

تحرك علي بجيشه إلى ذي قار فعسر به بعد ثماني ليال من خروجه من المدينة، وهو في تسعمائة رجل تقريباً [٦]، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً

---

(١) دباب كقطام: دعاء الضبع للضبع.
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٢).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٤) ،مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ١٢) إسناده حسن.
(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٤) و سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٨٦).
(٥) ذو قار ، ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة ، معجم البلدان (٤ / ٣٩٣).
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٩ - ٥٢١).

منه [١]. وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق،.... والقول الذي هو القول إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا على يلي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع [٢]. وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى [٣] أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم [٤]. ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثنى عشر ألف رجل تقريباً [٥]. وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم، واغتنم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وبايناهم حتى يبدءونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله [٦].

٤ - اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية:

وهذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة، فمع اختلافهم في الرأي، لم يدخل قلب أحد الضغن على أخيه، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة، فقد روى البخاري عن أبي وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصاري على عمار حين بعثه علي إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٥٣) ، التاريخ الصغير (١ / ١٠٩).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٦).
(٣) أولو النهى: أصحاب العقول.
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٦).
(٥) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦ ، ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً ، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٦) ، والإسناد حسن لغيره ، قاله عبد الحميد علي.
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٩).

أمراً أكره عندي من إبطائكما في هذا الأمر.. وفي رواية: فقال أبو مسعود – وكان موسراً –: يا غلام هات حلتين فأعط إحداهما أبا موسى، والأخرى عماراً، وقال: روحا فيه إلى الجمعة [(١)]. فأنت ترى أبا مسعود وعماراً وكلاهما يرى الآخر مخطئاً ومع ذلك فأبو مسعود يكسو عماراً حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وهذا تصرف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيباً، فعمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد علي عيباً، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علي عيباً، وكلاهما له حجته التي اقتنع بها، فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمسكاً بالأحاديث الواردة في ذلك وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمار على رأي علي في قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله **{فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي}** [الحجرات: ٩] وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان معتدياً على صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريصاً على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضى الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال [(٢)].

٥ – تساؤلات على الطريق:

أ – ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري: لما أراد الخروج من الربذة فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذا فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت ::: وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت

لا وألت نفسي إن هبت الموت [(٣)]

ب – أهل الكوفة يسألون علياً بمن فيهم الأعور بن بنان المنقري: لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين ﷺ في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب

(١) البخاري ، ك الفتن.

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢ / ٣٠٤).

(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٠).

قدومهم فقام إليه فيمن قام الأعور بن بنان المنقري، فقال لـه علي ﷺ: على الإصلاح وإطفاء النائرة [(١)]، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم [(٢)].

جـ – أبو سلامة الدألاني، ممن سأل أمير المؤمنين ﷺ فقال: أترى لهؤلاء القوم من حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال: إني لأرجو ألا يقتل أحد نقي قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة [(٣)].

د – وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح، الكف عن هذا الأمر فإن بايعونا فذلك، فإن أبو وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه [(٤)].

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وإن القتال ليس وارداً في تدابيره، لأنه إن حصل، فهو داء لا يرجى شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين أن المسلمين الذين خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان ﷺ يبتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم [(٥)].

ثامناً: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك علي رضي الله عنه بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أياماً، وكان غرضه ﷺ القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أوتى من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك في

---

(١) النائرة: العدواة.
(٢) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٠) ، تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٩).
(٣) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٠).
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢) ، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي: ص: (٤٠٦).
(٥) الإنصاف ، د. حامد: ص (٤٠٦).

محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر منهم:

١ - عمران بن حصين رضي الله عنه:

فقد أرسل في الناس يخذل الفريقين جميعاً ثم أرسل إليه بني عدي - وهم جمع كبير انضموا للزبير - فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حبشياً مجدعاً يرعى أعنزاً في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمى من أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدي لكم أبي وأمي. فقال القوم: دعنا منك فإنا والله لا ندعو ثقل رسول الله ﷺ لشيء [١] أبداً.

٢ - كعب بن سور:

أحد كبار التابعين، فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده، إذ قتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح [٢].

٣ - القعقاع بن عمرو التميمي:

أرسل أمير المؤمنين علي القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: الق هذين الرجلين فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظم عليهما الاختلاف والفرقة، وذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة - رضي الله عنها - وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

محاورة القعقاع لطلحة والزبير: ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان رضي الله عنه، ولابد أن يقتلوا فإن تركوا دون قصاص كان هذا تركاً للقرآن، وتعطيلاً لأحكامه، وإن اقتص منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستمائة من قتلة عثمان

---

(١) الطبقات لابن سعد (٤/ ٨٧) ، خلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٤٨).

(٢) الطبقات لابن سعد (٧ / ٩٢) من طريقين صحيحة الإسناد ، وخلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٤٩).

وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحداً، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقتله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم ووقفوا أمامكم وقفة رجلٍ واحد، فإن تركتم حرقوصاً ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون علياً به، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحظور، وقويتموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر من هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لبني سعد، وهذا ما حصل مع علي، ووجود قتلة عثمان في جيشه.

الحل عند القعقاع: التأني والتسكين ثم القصاص: تأثرت أم المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة، فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال: أقول: "هذا أمر دواؤه التسكين، ولابد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان وإن أنتم بايعتم علياً [(١)] واتفقتم معه كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان وإن أنتم أبيتم ذلك وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر وذهاباً لهذا الملك فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً ولا تعرضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف ألا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل، فإن ما نزل بها أمر عظيم وليس قتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة". اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله. عاد القعقاع إلى علي في (ذي قار) وقد نجح في مهمته، وأخبر علي بما جرى معه فأعجب علي بذلك وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه [(٢)].

بشائر الاتفاق بين الفريقين: لما عاد القعقاع وأخبره بمافعل، أرسل علي ﷺ رسولين[(٣)] إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا علياً،

---

(١) الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان.

(٢) البداية والنهاية (٧ / ٧٣٩) ، تاريخ الطبري (٥ / ٥٢١).

(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٥).

بأنه على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل علي حتى نـزل بحيـالهم، فنزلـت القبائـل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهـم لا يشـكون في الصـلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينون إلا الصلح [١]، وكان أمير المؤمنين علي ﷺ لما نوى الرحيل قد أعلن قـراره الخطـير: ألا وإنـي راحـل غـداً فارتحلوا - يقصد إلى البصرة - ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس [٢].

تاسعاً نشوب القتال:

١ - دور السبئية في نشوب الحرب:

كان في معسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمـان مـن لم يعـرف بعينه، ومن تنتصر لـه قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره [٣]، وحرص أتباع ابن سبأ علـى إشـعال الفتنـة وتـأجيج نيرانهـا حتـى يفلتـوا مـن القصاص [٤]. فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا، خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصـلح وتـرك الحـرب حـين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع طلحـة والـزبير إلى عسكرهما، وأرسـل طلحـة والـزبير إلى رؤسـاء أصـحابهما، وأرسـل علـي إلى رؤسـاء أصحابه، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان ﷺ فبات الناس علـى نيـة الصـلح والعافيـة وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لايذكرون ولا ينوون إلا الصلح. وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقـد عرفنـا أمرهمـا، وأمـا علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، وذلك حين طلب من النـاس أن يرتحلـوا في الغـد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء ورأى الناس فينا - والله - واحـد، وإن يصـطلحوا مع علي فعلى دمائنا [٥]. وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبأ - وهو المشير فيهم - فقال: يا

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٣٩).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٥).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٦).
(٤) المصدر نفسه (٥ / ٥٢٧) ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٢٠).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٦).

قوم إن عـزكم في خلطـة النـاس فصـانعوهم وإذا التقـى النـاس غـداً فانشـبوا القتـال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لم يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحـة والـزبير ومن رأى رأيهم عمـا تكرهـوه، فأبصـروا الـرأي وتفرقـوا عليـه والنـاس لا يشـعرون [١]، فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر، فغـدوا في الغلـس وعلـيهم ظلمـة، ومـا يشعر بهم جيرانهـم، فخـرج مضـريهم إلى مضـريهم، وربيعـيهم إلى ربيعـيهم، ويمـانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الـذين بـاغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر، فبعثا إلى الميمنة، وهـم ربيعـة يرأسـها عبـد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الـرحمن بـن عتـاب بـن أسـيد وثبتـا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: ما علمنا أن علياً غير منته حتـى يسفك الدماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثـم رجعـا بأهـل البصـرة، وقصـف أهـل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم [٢]، فسمع على وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هـذا؟ قـال ذلـك الرجـل: مـا فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددنـاهم، وقـال علـي لصـاحب ميمنتـه: ائـت الميمنـة، وقـال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشاباً [٣].

وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة فإن الطرفين ما لبثا يملكان الرويـة حتـى تتضـح الحقيقة، فعلي ومن معه يتفقون على ألا يبدءوا بالقتال حتى يبدءوا طلباً للحجة واسـتحقاقاً على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبرا، ولا يجهزون على جريح، ولكـن السـبئية لا تفتر إنشاباً [٤]، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقـول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فما زاد أن قـال: أف أف فـراش نـار وذبان طمع [٥]، وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بـل إن محـاولات الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة.

---

(١) المصدر نفسه (٥ / ٥٢٧).

(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١).

(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١).

(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١).

(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٨٢).

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه "السبئية" في المعركة ويتضح - بما لا يدع مجالاً للشك - حرص الصحابة ﷺ على الإصلاح وجمع الكلمة، وهذا هو الحق الذي تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس [(١)]. وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان، أو نبزوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية [(٢)].. وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ – جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبة: أن الذين نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان [(٣)].

ب – قال الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين [(٤)].

ج – وقال الباقلاني:... وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يتفرقوا فرقتين، ويبدءوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول [(٥)].

د – ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير – رضوان الله عليهم – على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر وأن من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبروا في إلقاء ما هو معروف، وتم ذلك [(٦)].

---

(١) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام: ص (١٩٢ ، ١٩٣).

(٢) المصدر نفسه: ص (١٩٤).

(٣) فتح الباري (١٣ / ٥٦).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: ص (٥٤٦).

(٥) التمهيد: ص (٢٣٣).

(٦) تثبيت دلائل النبوة للهمداني: ص (٢٩٩).

هـ – ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم علي على البصرة، وتدانوا ليتراءوا فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف [١].

و – ويقول ابن حزم:... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن – ولا شك – أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطاً، ولم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرابها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ، فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه، وقتل الزبير بوادي السباع – بعد انسحابه من المعركة – على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر [٢].

ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين [٣]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس [٤]. وفي كتاب "دول الإسلام": والتحم القتال مع "الغوغاء" وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير [٥].

ويقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرحة بدور "السبئية" في الجمل، تفسر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول إن هذه

---

(١) العواصم من القواصم: ص (١٥٦ ، ١٥٧).

(٢) الفصل في الملل والنحل (٤ / ١٥٧ ، ١٥٨).

(٣) العبر (١ / ٣٧) ، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

(٤) تاريخ الإسلام (١ / ١٥) ، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

(٥) عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

المشكلة أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه " السبئية " كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين؟! [(١)].

ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دوراً في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقته ناصعة لا تحتاج إلى عناء، وكفى بسواد الفتنة حاجباً عن التروي والإبصار [(٢)]، ولا نبعد كثيراً، فهذا الأحنف بن قيس – وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل – يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة [(٣)]، فقال يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: **«إذا تواجه المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار»**، فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: **«إنه كان قد أراد قتل صاحبه»** [(٤)]. إن القتال مع علي كان حقاً وصواباً ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة ﷺ حمل حديثاً ورد في غير الحالة التي قاتل فيها علي على حالة قتال الباغين، وهو فهم منه ﷺ ولكنه فهم في غير محله.

ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت علياً ﷺ في معركته مع الآخرين منها أمثال هذه الفتاوى التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثراً عن فتوى تصيب محلها [(٥)].

هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي – رضي الله عنهما –، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين [(٦)].

ونقترب أكثر فإن الزبير ﷺ – وهو طرف أساسي في المعركة – يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك، إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا

---

(١) المصدر نفسه: ص (١٩٦).

(٢) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، كما قال الإمام أحمد وعزا هذا القول إلى الأكثرين ، وقيل إنه نفيع ابن مسروح وبه جزم ابن سعد ، وقيل اسمه مسروح وبه جزم ابن إسحاق ، وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبي بكرة من فضلاء الصحابة ، ومن أهل الطائف ، وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين ، قيل في سبب كنيته أنه تدلى من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بها. توفي بالبصرة ٥٢ هـ.

(٣) مسلم (٤ / ٢٢١٣). ، ك الفتن.

(٤) الأساس في السنة وفقهها ، السيرة النبوية (٤ / ١٧١١).

(٥) صحيح مسلم على شرح النووي (١٨ / ١٠).

(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٥٠٦).

الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر [(١)]، ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً [(٢)].

وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي ﷺ على الفتنة فيقول عمار ﷺ في الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم [(٣)].

٢ - الجولة الأولى في معركة الجمل:

زاد السبئيون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمة، وتهييجه على قتاله، ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهي معركة الجمل، وسميت بذلك لأن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذي قدمه لها يعلي بن أمية في مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادي الثانية، سنة ست وثلاثين، في منطقة "الزابوقة" قرب البصرة، حزن علي لما جرى، ونادى مناديه: كفوا عن القتال أيها الناس. ولم يسمع نداءه أحد فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه [(٤)]، كانت معركة الجمل على جولتين: الجولة الأولى كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة ونادى على في جيشه كما نادى طلحة والزبير في جيشهما: لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تحلقوا خارجاً من المعركة تاركاً لها [(٥)].

وقد كان الزبير ﷺ وصى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلوماً، وإن أكبر همي ديني [(٦)].

وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل علياً، وذلك بأن يندس مع جيشه، ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا، لا يفتك مؤمن بمؤمن، أو أن الإيمان قيد الفتك [(٧)]، فالزبير ﷺ ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان،

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٠٦).
(٢) المصدر نفسه (٥ / ٥١٦).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١).
(٤) المصدر نفسه (٥ / ٥٤١ ، ٥٤٣) ، الخلفاء الراشدون للخالدي: ص (٢٤٥).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٥٤٣) ، الخلفاء الراشدون للخالدي: ص (٢٤٥).
(٧) مسند أحمد (٣ / ١٩) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وقد دعا أمير المؤمنين علي الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث، وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول لـه - أي الـزبير - **«لتقاتلنه وأنت له ظالم»** [١] - وهـذا الحديث ليس لـه إسناد صحيح [٢]. وبعض الروايات ترجع السبب في انصـراف الـزبير رضي الله عنه قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسـول الله ﷺ **«تقتل عمار الفئة الباغية»** [٣]، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشـهرته[٤]، وبعضها يرجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه [٥]، من هذه الفتنة - كما يسميها -.

وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى أن ابن عباس، رضي الله عنهما، ذكره بالقرابـة القوية من علي، إذ قال لـه: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي ابـن أبـي طالب بن عبد المطلب [٦]، فخرج الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله [٧] كمـا سـيأتي تفصيله بإذن الله، فالزبير رضي الله عنه كان على وعي لهدفه - وهو الإصلاح - ولكنه لما رأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عبـاس: تقاتـل بسـيفك علـي بـن أبـي طالب؟ فيه حذف مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل؟ [٨] وعلـى إثـر هـذا الحـديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتداخله أسهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة، فقد أصيب في بدايـة المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونـزف دمـه بغـزارة فقالوا لـه: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامة: احملني، وابحث لي عن مكان مناسب، فأدخل البصـرة ووضـع في دار فيهـا ليعـالج، ولكـن جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت، ثم دفن في البصرة رضي الله عنه [٩].

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠١) خرج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.
(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢ / ٣٢٤) ، المطالب العلية رقم (٤٤٦٨).
(٣) مسند أحمد (١ / ٤٧ - ٤٩) ، (١١ / ٣٨) إسناده صحيح ، تحقيق أحمد شاكر.
(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٥٤).
(٥) المصدر نفسه ص (١٥٤) ، تاريخ الطبري (٥ / ٥٠٦).
(٦) الطبقات (٣ / ١١٠) إسناده صحيح ، خلافة علي: ص (١٥٥).
(٧) الطبقات (٣ / ١٠) ، تاريخ خليفة: ص (١٨٦).
(٨) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢ / ٢٤٨).
(٩) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٣).

وأما الرواية التي تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال وأن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى، فهذه الرواية لا تصح [(١)]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة، رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل مع الزبير ﵁، مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير ﵁، كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، وفيه أن الزبير ﵁، سعى في الصلح بين الناس ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس ومضى الزبير وترك القتال [(٢)]، وكذلك طلحة، فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء، وأما عن مقتل طلحة ﵁ فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس [(٣)].

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة، رضي الله عنهما، وبسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي، وكان علي ﵁ يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين فيتألم ويحزن، وأقبل علي على ابنه الحسن، وضمه إلى صدره، وصار يبكي ويقول له: يا بني، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً. فقال الحسن: يا أبت، لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعم الحياة بعد هذا؟ وأي خير يرجى بعد هذا؟ [(٤)].

٣ - الجولة الثانية:

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفاً يدع الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس، فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل [(٥)]، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة،

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤٠).
(٢) المستدرك (٣ / ٣٦٦) ، استشهاد عثمان: ص (٢٠٠).
(٣) تاريخ خليفة ص: ١٨٥ ، استشهاد عثمان: ص (٢٠٢).
(٤) البداية والنهاية (٧ / ٥٢١).
(٥) مصنف عبد الرزاق (٥ / ٤٥٦) ، بسند صحيح إلى الزهري

ونادى جيش قائلاً: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه، وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقى وجه الله، ومات والمصحف في يده [١]، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تنادي، وتقول: يا بني، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحساب، وكفوا عن القتال. والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة، وكان علي من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم على البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقداماً وهجوماً وقتالاً، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم.

وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان وتلعنهم، وضج أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشياعهم، ولعنهم، وسمع علي الدعاء عالياً في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان وأشياعهم والعنوهم. وضج جيش علي بلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم [٢]، وقال علي: اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل [٣].

اشتدت الحرب واشتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت [٤]، ودنا الناس بعضهم من بعض [٥]، ووجه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمي فيه من النبل [٦]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبه وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير [٧]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٣).
(٢) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٣).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٦٨) بسند صحيح، سنن سعيد بن منصور (٢ / ٢٣٦) بسند صحيح.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٥٨) رجاله رجال الصحيح.
(٥) الطبقات (٥ / ٢) بسند صحيح.
(٦) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٣) ، تاريخ خليفة: ص (١٩٠) بسند صحيح.
(٧) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٤).

فهي لا تريد القتال ولكنه وقع رغماً عنها، وأصبحت في وسط المعمعة وسارت تنادي بالكف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، فجاء محمد بن طلحة "السجاد" وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين؟ فقالت: كن كخيري ابني آدم – أي كف يدك فأغمد سيفه بعد أن سله فقتل رحمه الله [(١)]، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، الذي حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قتل معه، وذلك أنه سارعه فسقطا على الأرض جميعاً، فقال ابن عتابي لمن حوله: اقتلوني [(٢)]، ومالكاً، لحنقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس على عثمان رضي الله عنه، ولكن الأشتر لم يكن معروفاً بمالك، ولم يك قد حان أجله ولو قال الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة [(٣)]، وأما عبد الله بن الزبير، قد قاتل قتالاً منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر، إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرض أن يضربه وهو جالس على فرسه بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظاناً أنه قتله[(٤)]، واستحر القتل أيضاً في بني عدي وبني ضبة والأزد، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربي الضبي برجزه.

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ::: ننازل الموت إذا الموت نزل
الموت عندنا أحلى من العسل ::: ننعي ابن عفان بأطراف الأسل [(٥)]

أدرك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بما أوتي من حنكة وقوة ومهارة عسكرية فذة – أن في بقاء الجمل استمراراً للحرب – وهلاكاً للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين في الميدان، كما أن في بقائها خطراً على حياتها، فالهودج الذي هي فيه أصبح كالقنفذ من السهام [(٦)]، فأمر علي نفر من جنده منهم محمد بن أبي بكر (أخو أم المؤمنين)، وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة –، أي يضربا قوائم الجمل بالسيف – فعقروا الجمل [(٧)]، واحتمل أخوها محمد

---

(١) نسب قريش: ص (٢٨١) ، التاريخ الصغير للبخاري (١ / ١١٠) بسند صحيح.
(٢) مصنف ابن أبي شيبه (١٥ / ٢٢٨) ، مرويات أبي مخنف ص (٢٦٨) إسناده صحيح
(٣) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٥٩)
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٢٨) بسند صححه ابن حجر في الفتح (١٣ / ٥٧ ، ٥٨).
(٥) تاريخ خليفة: ص (١٩٠) بسند حسن ، وخلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٥٩).
(٦) أنساب الأشراف للبلاذري (٢ / ٤٣) بسند متصل.
(٧) أعلام الحديث للخطابي (٣ / ١٦١١)

وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي، فأمر به علي، فأدخل في منزل عبد الله ابن بديل[١]، وصدق حدس علي ﷺ العسكري، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل أو ينهزم جيش علي، وعندما بدأت الهزيمة نادى علي أو مناديه في جيشه ألا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد شيئاً من متاع عند أحد من أصحابه فله أن يسترده، فجاء رجل إلى جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحماً في قدر له فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيها حنقاً عليهم[٢].

٤- عدد القتلى:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة [٣].

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفاً [٤]، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضي الشيعي، فقد بالغ كثيراً - بحكم ميوله - وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن إذ ذكر أن العشرين ألفاً هم من أهل البصرة[٥].

وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ﷺ ونصفهم من أصحاب عائشة - رضي الله عنها - وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفاً خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية [٦]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيهما مبالغة أيضاً، ويذكر عمر ابن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٦ ، ٢٨٧) بسند جيد ، الفتح (١٣ / ٥٧)
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٦ ، ٢٨٧) بسند جيد ، الفتح (١٣ / ٥٧)
(٣) مروج الذهب (٣ / ٣٦٧).
(٤) مروج الذهب (٣ / ٣٦٧).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦) بسند مرسل.
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤٢ - ٥٥٥).

شبة بسنده أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً [(١)]، أما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعاً، إذ وضع عدد القتلى اثنين وثلاثين ألفاً [(٢)].

وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً، وكان من أسباب المبالغة:

أ - رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحاب والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ.

ب - إسهام بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرى وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلاً عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

جـ - إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم [(٣)]
أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جداً للأسباب التالية:

* قصر مدة القتال، حيث أخرج بن أبي شيبة بإسناد صحيح [(٤)]، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

* الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

* قياساً بعدد شهداء المسلمين بمعركة اليرموك (ثلاثة آلاف شهيد)، ومعركة القادسية (ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد)، وهي التي استمرت عدة أيام و فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً هذا مع الأخذ في الاعتبار شراسة تلك المعارك وحدتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

* أورد خليفة بن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل فكانوا قريباً من المائة[(٥)]، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين، وهذا هو الرقم الذي ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته (استشهاد

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦) إسناده منقطع وهو حسن إلى قتادة.
(٢) مصنف بن أبي شيبة (٧ / ٥٤٦) ، فتح الباري (١٣ / ٦٢).
(٣) الإنصاف: ص (٤٥٥).
(٤) مصنف بن أبي شيبة (٧ ٥٤٦) ، فتح الباري (١٣ / ٦٢).
(٥) تاريخ خليفة: ص (١٨٧ ، ١٩٠).

عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري – دراسة نقدية) [(١)].

٥ – هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟

أشار كثير من الرواة إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله ﷺ، هو مروان بن الحكم [(٢)]، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة، وذلك للأسباب التالية: –

أ – قال ابن كثير: ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهوراً، والله أعلم [(٣)].

ب – قال ابن العربي: قالوا إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله، ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب ولم ينقله ثبت [(٤)].

جـ – قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يعرف أبوه ولا صاحبه [(٥)].

د – بطلان السبب الذي قيل أن مروان قتل طلحة رضي الله عنه، من أجله: وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان ﷺ، وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحداً من الصحابة قد أعان على قتل عثمان ﷺ.

هـ – كون مروان وطلحة، رضي الله عنهما، من صف واحد يوم الجمل: وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس [(٦)].

و – أن معاوية ﷺ قد ولى مروان على المدينة ومكة: فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية ﷺ، على رقاب المسلمين، وفي أقدس البقاع عند الله.

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢١٥).
(٢) الطبقات (٣ / ٢٢٣) ، تاريخ المدينة (٤ / ١١٧٠) ، تاريخ خليفة: ص (١٨٥).
(٣) البداية والنهاية (٧ / ٢٤٨).
(٤) العواصم من القواصم: ص (١٥٧ – ١٦٠)
(٥) العواصم من القواصم: ص (١٥٧ – ١٦٠).
(٦) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠٢).

ز – وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري [١]: مع ما عرف عن البخاري رحمه الله من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته – فلو صح قيام مروان بقتل طلحة رضي الله عنه، لكان هذا سبباً كافياً لرد روايته والقدح في عدالته [٢].

٦ – نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها حتى نادى منادي علي: أن لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً، ولا يدخلوا داراً، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وقراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده فله أن يأخذه [٣]، وقد ظن بعض الناس في جيش علي أن علياً سيقسم بينهم السبي، فتكلموا به ونشروه بين الناس، ولكن سرعان ما فاجأهم علي رضي الله عنه حين أعلن في ندائه: وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوها على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم، ففرقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضي الله عنه من بيت المال خمسمائة [٤].

٧ – تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج علي يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعد كئيباً حزيناً.. ودعا للقتلى بالمغفرة، وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح [٥]، وعاد إلى منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقرابته والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين، فقال لهن: إني لأرجو أن نكون من الذين قال الله فيهم **{وَنَزَعْنَا مَا فِي**

---

(١) فتح الباري (٢ / ٥٢٠)، استشهاد عثمان ص (٢٠٣).

(٢) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠٢).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٦٨) عبد الحميد، مصنف بن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٦) بسند صحيح.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٦) بسند صححه ابن حجر (١٣ / ٥٧).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٦١)، المستدرك (٣ / ١٠٣، ١٠٤، ٣٧٥) والإسناد حسن لغيره، خلافة علي بن أبي طالب، ص (١٦٩).

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} [الحجر: ٤٧]. ثم قال: ومن هـم إن لم نكـن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت [١].

٨ - مبايعة أهل البصرة:

كان أمير المـؤمنين علـي ﷺ حريصـاً علـى وحـدة الصـف واحـترام رعايـا الدولـة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المـؤمنين علي، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب بـه وأجلسـه بجـواره وسـأله عـن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال لـه: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحـن نريـد أن نأخـذها، إنمـا أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع لـه غلتها وقال: يا ابن أخي وأتنا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلـوا علـى علي ﷺ يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة [٢]، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسـل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس ﷺ ليكلموا علياً فقال علي: هو آمن فليتوجه حيـث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه [٣]، كما أن مروان ﷺ أثنى على فعال أمير المؤمنين علي فقال لابنه الحسن: مـا رأيـت أكـرم غلبـة مـن أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مـدبر، ولا يـذفف علـى جريح [٤]، وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وولى عليهم ابن عمه عبـد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وولى على خراجها زياد بن أبيه، وأراد علي ﷺ أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكاً (الأشتر) أعجله من ذلك، وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية فلما علم بأن ابن عباس ولى إمارة البصرة غضب وسار في قومه، فخشي علي ﷺ منه شراً وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنـه شـيئاً [٥].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٦٨ - ٢٦٩) خلافة علي ص: (١٦٩) عبد الحميد.
(٢) الطبقات (٣ / ٢٢٤) بسند حسن ، المستدرك (٣ / ٣٧٦ ، ٣٧٧).
(٣) سنن سعيد بن منصور (٢ / ٣٣٧) بسند حسن.
(٤) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي: ص (١١١) ، فتح الباري (١٣ / ٦٢).
(٥) فتح الباري (١٣ / ٥٧) ، خلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٧٤).

٩ - حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[(١)].

قال القرطبي: قال: علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة - في أصحاب النبي ﷺ بدليل قوله تعالى:**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** [الحجرات: ٩، ١٠] فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله: **«القاتل والمقتول في النار»** ليس في أصحاب النبي ﷺ، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل، قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها [(٢)].

وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق... وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره. واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة ﷺ، ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ في الاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي ﷺ هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم [(٣)].

---

(١) مسلم. ك الفتن (٤ / ٢٣٣).

(٢) التذكرة (٢ / ٢٣٢ ، ٢٣٣).

(٣) شرح صحيح مسلم (٨ / ٢٢٧ ، ٢٢٨).

١٠ - تاريخ معركة الجمل:

اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ - أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة [١].

ب - أخرج عمر بن شبة أن الوقعة كانت في النصف من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين[٢].

جـ - أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الواقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين [٣].

د - ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادي الأولى [٤]، غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

١١ - أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟:

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي، فلما دخل علي قالت لـه صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي. فلم يرد عليها علي شيئاً، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت، فقال لـه رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟

فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟! [٥].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٨٤ ، ١٨٥).

(٢) فتح الباري (١٣ / ٦١).

(٣) استشهاد عثمان: ص (٢٠٦) نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٤) مروج الذهب (٢ / ٣٦٠)

(٥) البداية والنهاية (٧ / ٣٥٧).

١٢ - اعتذار أبي بكرة الثقفي عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي إلى أمير المؤمنين فبايعه فقال له علي: أين المريض؟ - يعني أباه - فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامي فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد [١].

١٣ - موقف أمير المؤمنين علي ممن ينال من عائشة:

قال رجل: يا أمير المؤمنين، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر علي القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة، وأن يخرجهما من ثيابهما [٢]، وقد قام القعقاع بذلك.

١٤ - دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة:

عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند علي، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحاً منبوذاً مذموماً مدحوراً [٣]. وجاء في رواية: اغرب مقبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ ؟! [٤].

وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علي رضي الله عنهما فقال: حليلة رسول الله ﷺ [٥].

عاشراً: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سماوات، وكانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه، ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفي

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٣٥٧).

(٢) البداية والنهاية (٧ / ٣٥٧).

(٣) فضائل الصحابة (٢ / ١١٠) إسناده ضعيف ، ضعيف سنن الترمذي رقم (٨١٥) للألباني.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٧٩) حديث حسن قاله الذهبي.

(٥) المصدر نفسه (٢ / ١٧٦) حديث حسن

عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها[1]، ومناقبها، رضي الله عنها، كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن منها:

١ – مجيء الملك بصورتها إلى النبي ﷺ في سرقة (٢) من حرير قبل زواجها به ﷺ فقد روى الشيخان من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ : أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه [٣].

٢ – أحب أزواج النبي ﷺ : وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه، فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل [٤]، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: فمن الرجال؟ قال: أبوها [٥]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً، وقد قال: **«لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل»**، فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً [٦].

٣ – نزول الوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام: فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٣٥ – ٢٠١) طبقات ابن سعد (٨ / ٥٨) ، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).
(٢) أي في قطعة من جيد الحرير ، انظر: النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٦٢).
(٣) مسلم رقم (٢٤٣٨).
(٤) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافي من الماء ، والنهاية لابن الأثير (٢ / ٣٨٩).
(٥) البخاري رقم (٤٣٥٨).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٤٣).

سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: **«يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها»** (١).

وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها (٢).

٤ - أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي ﷺ : فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: **«يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام»** فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى - تريد رسول الله ﷺ - (٣).

٥ - بدأ النبي ﷺ بتخييرها عند نزول آية التخيير: وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فاستن بها بقية أزواجه ﷺ فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة، رضي الله عنها، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله - جل ثناؤه - قال:**{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً}** [الأحزاب: ٢٨ و ٢٩] قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت (٤).

٦ - نزول آيات من كتاب الله بسببها، فمنها ما هو في شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة: فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان، وهو قوله تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا**

---

(١) البخاري رقم (٣٧٧٥) ، ك فضائل الصحابة.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٤٣).

(٣) البخاري ، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٦٨).

(٤) البخاري: ك التفسير رقم (٤٧٨٩).

اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ١١] إلى قوله تعالى:**{الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}** [النور: ٢٦].

قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم، وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا خافضاً من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة من أجلها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها [١]. فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ [٢].

قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى على الزمان... وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[٣].

وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيمم وكانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة، فقدر روى البخاري بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً[٤].

---

(١) البخاري رقم (٤١٤١).

(٢) جلاء الإفهام: ص (١٢٤ ، ١٢٥).

(٣) البداية والنهاية (٨ / ٩٥) ، تفسير القرآن العظيم (٣ / ٢٦٨).

(٤) البخاري ، رقم (٣٣٦).

٧ – كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يمرض في بيتها: فقد كانت وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها وفي يومها، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن في بيتها (١)، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: أين أنا غداً؟ حرصاً على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن (٢)، وعند مسلم عنها أيضاً قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: **«أين أنا اليوم، أين أنا غداً؟»** استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري (٣)، وروى البخاري أيضاً بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: **«أين أنا غداً، أين أنا غداً؟»** يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه مسواك يستن به، فنظر إليه رسول الله فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدري. وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة (٤).

٨ – إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة: فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، من أزواجك في الجنة؟ قال: أما إنك منهن؟ قالت: فخيل إلي أن ذاك أنه لم يتزوج بكراً غيري (٥). وروى البخاري بإسناده إلى القاسم ابن محمد أن عائشة اشتكت فجاء بن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ، وعلى أبي بكر (٦). وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة، رضي الله عنها، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف (٧).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨٩) ، البداية والنهاية (٨ / ٩٥).

(٢) البخاري ، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٤).

(٣) مسلم ، ك الصحابة رقم (٢٤٤٣).

(٤) البخاري ، رقم (٤٤٥٠ ، ٤٤٥١).

(٥) المستدرك (٤ / ١٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٦) البخاري ، رقم (٣٧٧١).

(٧) فتح الباري ، (٧ / ١٠٨) ، العقيدة في أهل البيت: ص (٩٥).

٩ - فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام: ما رواه الشيخان إلى عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** (١).

قال النووي: قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه، والالتذاذ به وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من ألطعمة. وليس في هذا تصريح بتفصيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة (٢).

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها، وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلفة، وآثارهم الموضوعة، وجاءوا لآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأولوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب " ثم اهتديت " وهو لم يأت بجديد وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض وطعن في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي (٣).

وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة - رضي الله عنها - بل فيه أعظم فضيلة لها، وهى أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعظم من هذا؟ فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة - رضي الله عنها - قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار - رضي الله عنه - الذي كان مخالفاً لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله ﷺ (٤)، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع للنبي ﷺ، على ما روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ.

---

(١) البخاري ،رقم (٣٧٧٠).
(٢) شرح صحيح مسلم (١٥ / ٢٠٨ ، ٢٠٩).
(٣) البخاري ، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٢).
(٤) الانتصار للصحب والآل ص: (٤٤٨).

قال لها: أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟ قالت: بلى والله، قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة [١]. فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة – رضي الله عنها – ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها [٢]، وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[٣]. فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وبيان ذلك من وجوه:

أ – أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة – رضي الله عنها – ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر [٤].

ب – أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذموماً حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة فقد يكون ناسياً أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

جـ – أن عماراً ﷺ ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحاً للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها [٥].

وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحاً منبوذاً، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها [٦].

وأما قول الشيعة الروافض، أن النبي ﷺ قام خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة فقال، ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنهم على عائشة – رضي الله عنها – بذلك وزعمهم أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها، فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق، وتدليس على من لا علم عنده من العامة، وذلك بتفسيره قول الراوي: فأشار (نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل

---

(١) المستدرك (٤ / ١٠) ، الصحيح المسند لمصطفى العدوي: ص (٣٥٦)

(٢) البخاري رقم (٣٧٧٢).

(٣) البخاري رقم (٣٧٧٢).

(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٤٨).

(٥) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٠ ، ٤٥١).

(٦) البداية والنهاية (٧ / ٢٤٨).

على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من لـه أدنـى معرفـة بمقاصد الكلام، فإن الراوي قال: أشار نحو مسكن عائشة، ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي، وهذه الرواية التي ذكرها أخرجهـا البخـاري في كتـاب فرض الخمس [١]، وهذا الحديث قد جاء مخرجاً في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما مـن عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على الـبلاد المشـار إليهـا بمـا يـدحض دعـوى الشيعة الروافض، ويغني عن التكلف في الرد عليهم بأي شـيء آخـر، وهـا هـي بعـض ذي روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر – رضي الله عنهما – فعن ليث عن نـافع عـن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: **«ألا إن الفتنة هنا من حيث يطلع قرن الشيطان»** [٢]، وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابـن عمر أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشـرق: **«الفتنة من حيث يطلع قرن** [٣] **الشيطان»** قالها مرتين أو ثلاثاً، وعن سالم بن عبد الله عن ابيه أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشـرق **«ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان»** [٤]. وفي هذه الروايات تحديد صريح للجهة المشـار إليهـا وهـي جهـة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرهـا الـروافض [٥]، كمـا جـاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها فعن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فقال: **«اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»**، قـالوا: يـا رسـول الله وفي نجدنا [٦]، فأظنه قال الثالثة: **«هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»** [٧].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: إن الفتنـة تجـيء من ههنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان [٨]. وفي بعض الروايات جـاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار

---

(١) البخاري رقم (٣١٠٤).
(٢) البخاري رقم (٧٠٩٣) ، مسلم رقم (٢٩٠٥).
(٣) مسلم ،ك الفتن (٤ / ٢٢٢٩).
(٤) مسلم ،ك الفتن (٤ / ٢٢٢٩).
(٥) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٣).
(٦) نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.
(٧) البخاري رقم (٧٠٩٥).
(٨) مسلم ، ك الفتنة من المشرق (٤ / ٢٢٢٩).

رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: **«ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدادين** [١]**، وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر»** [٢].

فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي ﷺ من قوله: الفتنة "ههنا" وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأى ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوى الشيعة الروافض [٣].

١٠ – المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهم: قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع [٤]... وسئل ابن تيمية عنة خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها ما تميزت به عن غيرها [٥]، وقال ابن حجر: وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة [٦]، وقال في شرح حديث أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ وأمره أن يقرئ خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم [٧]. وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن – رضي الله عنهن – نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك لقوله ﷺ **«لقد فضلت خديجة على نساء أمتي»** [٨] وقال ﷺ : **«أفضل**

---

(١) الفدادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.
(٢) البخاري رقم٣٣٠٢ ، الانتصار للصحب والآل ص: (٤٥٥).
(٣) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٥).
(٤) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٩٤).
(٥) المصدر نفسه (٤ / ٣٩٣).
(٦) فتح الباري (٧ / ١٠٩).
(٧) فتح الباري (٧ / ١٣٩).
(٨) فتح الباري (٧ / ١٣٥) و مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٣).

نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية» [١]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل [٢]. وقال ﷺ **«حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»** [٣]، وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة، ثم إن اللفظ الوراد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها وهو قوله ﷺ : **«يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟»** [٤]. وفي لفظ **«سيدة نساء أهل الجنة»** [٥]، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة، وبهذا وردت النصوص [٦]، وأما ما ورد في تفضيل عائشة، رضي الله عنها، في قوله ﷺ **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر [٧]: وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة، رضي الله عنها، على غيرها، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المئونة وسهولة الإساغة، وكان أجل طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى [٨]، فالحديث إذا دال على أفضلية عائشة، رضي الله عنها، على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة، رضي الله عنهما لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة، رضي الله عنها [٩]، وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي ﷺ : أي النساء أحب إليك؟ فقال ﷺ عائشة [١٠] فقد أشار بن حبان إلى أنه مقيد في نسائه ﷺ إذ عقد عنوانا في صحيحه فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يارسول الله أي الناس أحب

---

(١) الإحسان لابن حبان (٩ / ٧٣) ، صحيح الجامع للألباني (١ / ٣٧١).
(٢) فتح الباري (٧ / ١٣٥).
(٣) فضائل الصحابة (٢ / ٧٥٥). رقم (١٣٢٥). وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣ / ١٧٤٥).
(٤) البخاري رقم (٦٢٨٥).
(٥) فتح الباري (٧ / ١٠٥).
(٦) العقيدة في أهل البيت: ص (٩٧).
(٧) فتح الباري (٧ / ١٠٧).
(٨) المصدر نفسه (٦ / ٤٤٧).
(٩) العقيدة في أهل البيت: ص (٩٧).
(١٠) البخاري رقم (٤٣٥٨).

إليك؟ قال: عائشة، فقلت: إني لست أعني النساء وإنما أعني الرجال، فقال أبو بكر أو قال: أبوها، ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال على أن مخرج السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها، وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ : من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة قيل له ليس عن أهلك نسألك، قال: فأبوها [(١)]. وبهذا يتبين أن عائشة، تلي خديجة وفاطمة في الفضل، رضي الله عنها إذن فكل ما ورد عن عموم تقديمها رضي الله عنها مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة، رضي الله عنهما، ولا ينكر أن لعائشة، رضي الله عنها، من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة رضي الله عنهن، إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق [(٢)]، وعلى كل حال فليس فضل إحداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث فاطمة وخديجة وعائشة رضي الله عنهن، حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذي يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة في الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها كما يفعل الشيعة الروافض؟! [(٣)].

*** هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟:**

قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً [(٤)]. وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا، وإنما هذه الأقوال من الروايات التي وضعتها الشيعة الروافض، والتي شوهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين علي وطلحة والزبير وعائشة ﷺ حرباً أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأصرت عائشة، ويصورون المسألة كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩ / ١١).
(٢) فتح الباري (٧ / ١٠٨) ، العقيدة في أهل البيت: ص (٩٨).
(٣) الانتصار للصحب والآل: ص: (٤٦١).
(٤) المغازي للزهري: ص (١٥٤).

الشأن إلا من الروايات المقدوحة ومن المصادر غير الوثوق بها مثل الإمامة والسياسة، والأغاني، ومروج الذهب وتاريخ اليعقوبي، بل وتاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان [(١)].

* **هل يصح هذا الحديث: تقاتلين علياً وأنت له ظالمة؟** إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المختلفة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار [(٢)].

* **أمير المؤمنين علي ﷺ يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:** جهز أمير المؤمنين على عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد (ابن الحنفية)، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزاده، فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنا عندي على معتبتي من الأخيار.. وقال علي يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها [(٣)] يوماً. وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمة ﷺ عندما قال له: **«إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر. قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أنا؟ قال: نعم. قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها»** [(٤)].

---

(١) انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوي الأصيل ، محمد جميل ، الحزبية السياسية ، رياض عيسى ، الحريم السياسي ، النبي والنساء ، الدولة العربية فلها وزن ، نقلاً عن دور المرأة السياسي ، ص (٤٤٢).

(٢) منهاج السنة (٢ / ١٨٥).

(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٨١).

(٤) مسند أحمد (٦ / ٣٩٣) إسناده حسن.

وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان في شيء في نفسها من علي رضي الله عنه لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي ﷺ في فراقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك [(١)]. وهذا الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل وكان شديد الغيرة، فرأى على أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدها [(٢)]. قال النووي: رأي علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ [(٣)]. وعلي رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه قد عرض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبي ﷺ : لم يضيق الله عليك [(٤)]، إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ ناصحاً: وسل الجارية تصدقك [(٥)]، فهو قد دعاه إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها، أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة في نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحري الحقيقة [(٦)]، وقد سأل رسول ﷺ الجارية التي كانت أكثر التصاقاً بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من أمر عائشة إلا خيراً، وقد خرج رسول ﷺ من يومه الذي سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله بن أبي قائلاً: **«يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً»** [(٧)]. لقد كانت نصيحة علي في صالح عائشة، فقد ازداد ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله [(٨)]. ولم يكن موقف علي في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رضي الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين وكما زعم كثير من الباحثين ممن تورط في روايات الشيعة الرافضة التي لفقوها ووضعوها.

---

(١) البخاري رقم (٤٧٨٦).

(٢) دور المرأة السياسي ص (٤٦٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٥ / ٦٣٤).

(٤) البخاري رقم (٤٧٨٦).

(٥) البخاري رقم (٤٧٨٦).

(٦) دور المرأة السياسي ص (٤٦٢).

(٧) البخاري رقم (٤٧٨٦).

(٨) دور المرأة السياسي ص (٤٦٢).

* **ندمهم على ما حصل منهم:** قال ابن تيمية.... وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم (١).

أ – فأمير المؤمنين علي: ورد عنه عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، أنه قال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة (٢).

ب – وروى نعيم بن حماد بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة (٣).

جـ – وعن الحسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمراً، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً (٤).

د – وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علي أنه سمع علياً يقول حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم -: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة (٥).

هـ – وأما عائشة: فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي، وكان أحب إلي أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير (٦).

و – وكانت إذا قرأت قوله تعالى:**{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}** [الأحزاب: ٣٣] تبكي حتى تبل خمارها (٧).

ز – قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولداً من رسول الله ﷺ وكلهم مثل

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقد كلام أهل الرفض والاعتزال ، ص (٢٢٢).
(٢) الفتن ، نعيم بن حماد (١ / ٨٠).
(٣) الفتن ، نعيم بن حماد (١ / ٨٠).
(٤) المصدر نفسه (١ / ٨١).
(٥) أحداث وأحاديث فتنة الهرج. ص (٢١٧).
(٦) الفتن ، نعيم بن حماد (١ / ٨١).
(٧) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٧٧) ، الطبقات (٨ / ٨١).

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأني ثكلتهم ولم يكن ما كان مني يوم الجمل [١].

ح – قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير خيارهم [٢].

ط – قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ [٣].

حادي عشر: سيرة الزبير بن العوام واستشهاده:

هو عبد الله الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي [٤]، ويجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وهو حواري رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى [٥]، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة [٦]، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله [٧]، وقد تعرض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روي أن عم الزبير كان يعلقه في حصير ويدخن عليه النار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً [٨].

١ – أول من سل سيفه في سبيل الله: عن سعيد بن المسيب، قال: أول من سل سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائل إذ سمع نغمة: أن رسول الله قتل، فخرج من البيت متجرداً السيف صلتا، فلقيه رسول الله ﷺ كفة كفة [٩]، فقال: **«ما**

(١) التمهيد للباقلاني: ص (٢٣٢) ، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من أشرف بني مخزوم ، توفي قبل معاوية.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض: ص (٢٢٢ ، ٢٢٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٧٧).

(٤) الإصابة (١ / ٥٢٦ – ٥٢٨).

(٥) الطبقات الكبرى (٣ / ١٠٠) ، الإصابة (١ / ٥٢٦ – ٥٢٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (١ / ٤١).

(٧) سير السلف (١ / ٢٢٦) الرواية مرسلة.

(٨) الطبراني في الكبير (١ / ١٢٢).

(٩) كفة كفة: أي مواجهة كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.

شأنك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قتلت، قال: **«فما كنت صانعاً؟»** قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبي ﷺ بخير. قال سعيد: أرجو أن لا تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبي ﷺ [١].

٢ – هجرته للحبشة: ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ ولأصحابه وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار "النجاشي" ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً وخافوا أن يظهر ذلك الرجل، وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة ﷺ أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر من النيل [٢]، قالت أم سلمة – رضي الله عنها –: فقال أصحاب رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: أنت؟ وكان من أحدث القوم سناً. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع ثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده [٣] وبعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله ﷺ، يتلقى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيه، وعندما هاجر رسول الله للمدينة كان الزبير ضمن المهاجرين إليها.

٣ – في غزوة بدر: كان الزبير ﷺ فارساً مقداماً، وبطلاً مغواراً، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد، تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق [٤]، ولقد بذل الزبير ﷺ، الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفاً لله – عز وجل – فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على

(١) فضائل الصحابة (٢ / ٩١٤) رقم ١٢٦٠ إسناده ضعيف حسن لغيره.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٢٧٩) ، أصحاب الرسول (١ / ٢٧٤).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٢٧٩).
(٤) أهل الشورى الستة ، رياض العبد الله: ص (٦٧).

الزبير يوم بدر عمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير [١]. فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدي ابن عمه أحمد ووزيره ::: عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس ::: شهد الوغى في الأمة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصرة ::: بالحوض يوم تألب الأعداء [٢]

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته في عينيه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه إياها، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل [٣].

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه حمى جسمه بالحديد الواقي، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف [٤]. وقد كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة [٥].

٤ – في غزوة أحد: قال الزبير ﷺ جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد [٦]، وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة، فقد اتصف ﷺ بالثبات والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله تعالى، وقد وصف لنا ﷺ ما فعله أبو دجانة الأنصاري في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله ﷺ يشحذ همم أصحابه، ويعمل على رفع

---

(١) الطبراني في الكبير رقم ٢٣٠ مرسل صحيح الإسناد ، سير أعلام النبلاء (١ / ٤٦).
(٢) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٥٠١).
(٣) صحيح البخاري ، ك المغازي رقم (٣٩٩٨).
(٤) التاريخ الإسلامي (٤ / ١٦٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ٤٦) والرواية مرسلة.
(٦) فضائل الصحابة (٢ / ٩١٨) رقم (١٢٦٧) إسناده صحيح.

معنوياته وأخذ سيفاً وقال: **«من يأخذ مني هذا؟»** فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا – وكان من ضمنهم الزبير – قال: **«فمن يأخذه بحقه؟»** فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشه أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: **«أن تضرب به العدو حتى ينحني»**. قال أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب – أي يمشي مشية المتكبر – وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين قال: **«إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»** [1].

ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة لـه حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت – وهكذا كانت تقول لـه إذا تعصب – فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي	:::	**ونحن بالسفح لدى النخيل**
أن لا أقوم الدهر في الكيول [2]	:::	**أضرب بسيف الله والرسول** [3]

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان من المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف[4] عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم[5].

قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمس الناس حماساً شديداً فصمدت لـه فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة[6].

وعن هشام عن أبيه قالت عائشة: يا ابن أختي كان أبواك – يعني الزبير وأبا بكر –

(١) مسلم ، ك فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٠.
(٢) الكيول: مؤخرة الصفوف.
(٣) البداية والنهاية (٤ / ١٨).
(٤) ذفف: أجهز عليه.
(٥) البداية والنهاية (٤ / ١٨).
(٦) البداية والنهاية (٤ / ١٨).

من **{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ}** [آل عمران: ١٧٢]. لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال تعالى **{فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ}** [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدواً [١].

ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في أحد جاءت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها، وقد مثل به المشركون فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام والقها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها فقال لها: يا أمة إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان فى ذلك، لأحتسبن ولأصبرن، إن شاء الله فلما جاء الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: **«خل سبيلها»**، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت [٢]، واستغفرت له [٣]، وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير أنه لما كان أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال **«المرأة المرأة»**. قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قالت: فلدمت في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك، لا أرض لك. قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل، وقد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصارى لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، والأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له[٤].

٥ – في غزوة الخندق: (لكل نبي حواري وحواريي الزبير) [٥]: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: **«من يأتينا بخبر بني قريظة؟»** فقال الزبير: أنا فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ **«لكل نبي حواري**

(١) البخاري رقم (٤٠٧٧).
(٢) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ١٠٨).
(٤) مسند أحمد (٣ / ٣٤) الموسوعة الحديثية إسناده حسن.
(٥) مسلم رقم (٢٤١٤).

وحواريي الزبير» [(١)]. ومعنى قوله ﷺ : وحواريي الزبير: أي خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام، أي خلصاؤه وأنصاره، فالحواري هو الناصر المخلص، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير ﷺ، ولذلك سمع عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا [(٢)]. وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: **«من يأتني بخبر القوم؟»** قال الزبير: أنا، قال: **«من يأتني بخبر القوم؟»** فقال: أنا، وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره [(٣)]. وقد فداه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبيه وأمه، فعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً فلما رجعت قلت: يا أبت رايتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: **«من يأتي بني قريظة فيأتني بخبرهم؟»** فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: **«فداك أبي وأمي»** [(٤)]. وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير ﷺ، حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره، واعتداد بعمله، واعتبار بأمره، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له [(٥)].

لقد نال الزبير في غزوة الخندق وساماً خالداً باقياً على مر السنين: **«لكل نبي حواري وحواريي الزبير»** [(٦)]. لقد وصف النبي ﷺ الزبير بالحواري، وهو وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها، وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون، لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة، لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ والأفكار، لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها،

(١) مسلم رقم (٢٤١٤).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة رقم (١٢٢١٩) ، صحيح..
(٣) عمدة القاري (١٩ / ٢٢٣٩).
(٤) البخاري رقم (٣٧٢٠).
(٥) تحفة الأحوذي (١٠ / ٢٤٦).
(٦) مسلم رقم (٢٤١٤).

يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها، ولأن الحواريين يأخذون بسنة الرسـول ﷺ ويقتـدون بأمره [(١)]، كما جاء في الحديث: **«ما نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان لـه من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره»** [(٢)]. ومن سنن الدعوات أن مسـيراتها تمـر بـالفتن والمحن وتبتلى من أصدقائها وأعدائها، وحرص الرسول ﷺ علـى إرشـاد المسـلمين إلى هـذه المتغيرات والحوادث فقال: **«ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما يؤمنون»** [(٣)] فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقـي والإخـلاص والفـداء التي هي أبرز صفات الحواريين، فيكون مثالاً حقيقياً لورثة الأنبياء، فيسعى لنشر الحق والخير وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها، ويضـحي في سـبيل الله بكـل غـال ونفـيس ليجـدد للإسلام شبابه ونضارته، في الوقت الذي يكون سـاقطو المهمـة لا هـم لهـم إلا مصـلحتهم الشخصية [(٤)].

والزبير بن العوام ﷺ، نموذج فذ في تجسيد هذه المعاني، فقد تربـى في أحضـان الـدعوة على يدي النبي ﷺ، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر، وموقف الزبير في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشأته على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول ﷺ، وأثبتت الأيام أنه كان ﷺ رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام وكلف بمهمة كشـف أسرار العدو، وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الـدعاة كـل حسب إخلاصه وفدائيته وتضـحيته ومواهبـه وطاقتـه [(٥)]. هـذا وقـد شـارك الـزبير في كـل غزوات الرسول ﷺ وكانت لـه مواقف مشرفة، وكان في عهد الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة ﷺ.

٦ – في غزوة اليرموك: عـن عـروة أن أصـحاب رسـول الله ﷺ قـالوا للـزبير يـوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم. فقالوا لا نفعل، فحمل علـيهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معهم عبد الله بن الزبير يومئذ وهو ابن عشر سنين فحمله على

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٦ ، ٢٧).
(٢) دراسات تربوية للأعظمي: ص (٢٠٦).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٦ ، ٢٧).
(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية: ص(٢٠٧).
(٥) دراسات تربوية: ص (٢٠٨).

فرس ووكل به رجلاً [(١)]، قال الذهبي في السير معلقاً هذه الواقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين [(٢)]، وذكرابن كثير أن الموقعة هي (اليرموك) ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين. فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد (اليرموك) الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، واجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفي رواية: جرح[(٣)]. ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهداً، فشهد اليرموك، فشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم [(٤)].

٧ – في فتح مصر: ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك باربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال [(٥)]، وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصراً حصن بابليون فلم يلبس الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون[(٦)].

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم

---

(١) البخاري رقم ٣٩٧٥.
(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٦٣).
(٣) البداية والنهاية (١ / ٦٣).
(٤) المصدر نفسه (٧ / ٢٦٠).
(٥) فتوح مصر والمغرب: ص (٦١) ، قادة فتح الشام ومصر: ص (٢٠٨ – ٢٢٦).
(٦) سير أعلام النبلاء (١ / ٥٥).

صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو، خوفاً من أن ينكسر فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحة المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس (١).

٨ – غيرة الزبير بن العوام ﷺ: عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: تزوجني الزبير ﷺ وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء وأخرز غربه، وأعجن ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول ﷺ على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ، قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال (أخ أخ)، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني (٢).

٩ – تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء: من شدة حب الزبير ﷺ للشهادة، كان أن سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إن طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وإني أسمي بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك (٣).

---

(١) قادة فتح الشام ومصر ، ص: (٢٠٩ – ٢٢٧).

(٢) حياة الصحابة (٢ / ٦٩١) ، وأصحاب الرسول (١ / ٢٨١).

(٣) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الرشدين ص (٥٠٥) ، الطبقات (٣ / ١٠١).

١٠ - إخفاء الطاعات عند الزبير: قال الزبير بن العوام ﷺ: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل [١].

١١ - ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير: مر الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ وحسان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير ثم قال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر بن الفريعة؟ فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه، فقال حسان يمدح الزبير:

أقام على عهد النبي وهديه	:::	**حواريه والقول بالفعل يعدل**
أقام على منهاجه وطريقه	:::	**يوالي ولي الحق والحق أعدل**
هو الفارس المشهور والبطل الذي	:::	**يصول إذا ما كان يوم محجل**
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها	:::	**بأبيض سباق إلى الموت يرقل** [٢]
وإن امرؤ كانت صفية أمه	:::	**ومن أسد في بيتها لمؤتل** [٣]
له من رسول الله قربى قريبة	:::	**ومن نصرة الإسلام مجد مؤتل** [٤]
فكم كربة ذب الزبير بسيفه	:::	**عن المصطفى والله يعطي فيجزل**
ثناؤك خير من فعال معاشر	:::	**وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل** [٥]

١٢ - كرم الزبير بن العوام ﷺ: روي عن عروة بن الزبير أنه قال: أوصى إلي الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود وعبد الرحمن، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم [٦]، وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسم المعاني السامية في النفس حتى تبقى هي الماثلة في الضمير الحي، وتبعاً لذلك يسخر هذا الضمير الحي كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعاني وقد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترضها شيء من الفتور، فأما أن يتكفل مثل هذا الشهم السخي بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة، ويحفظ لهم أموالهم فهو نموذج فريد في عالم الواقع، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقي الأخلاقي لدى

---

(١) الزهد لابن المبارك: ص (٣٩٢).

(٢) يرقل: يسرع: وهو سرعة الإبل.

(٣) في الديوان ، وعند الحاكم لمرقل: وهو العظيم المبجل.

(٤) سير أعلام النبلاء (١ / ٥٦).

(٥) المصدر نفسه (١ / ٥٧).

(٦) سير أعلام النبلاء (١ / ١٣١).

الصحابة رضي الله عنهم [١].

١٣ – وقد حان وقت الرحيل.. وشهادة رسول الله له بدخول الجنة: خرج الزبير بن العوام رضي الله عنه من معركة الجمل في الجولة الأولى وقد بينا الأسباب في تركه

ترك الأمور التي أخشى عواقبها ::: في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

لساحةالمعركة وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

وقيل إنه أنشد:

ولقد علمت لو أن علمي نافعي ::: أن الحياة من الممات قريب [٢]

وبعد خروجه تبعه عمر بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال: إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويقال: بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة فقال: ادن فقال مولى الزبير واسمه عيطة إن معه سلاحاً. فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة. فقال له الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله، ويقال: بل أدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع وهو نائم في القائلة [٣]، فهجم عليه فقتله، وهذا هو القول الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها، وكانت قبله تحت عمرو بن الخطاب فقتل عنها، وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها، فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٧ / ١٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٦٠).

(٣) القائلة: وقت اشتداد حر الظهيرة.

غــدر ابــن جرمــوز بفــارس بهمــة	:::	**يــوم اللقــاء وكــان غــر معــرد** [١]
يــا عمــرو لــو نبهتــه لوجدتــه	:::	**لا طائشـاً رعـش الجنـان** [٢] **ولا اليـد**
ثكلتــك أمــك أن ظفــرت بمثلــه	:::	**ممــن بقــى ممــن يــروح ويغتــدي**
كــم عمــرة قــد خاضــها لــم يثنــه	:::	**عنهـا طـرادك يـا ابـن فقـع العـردد** [٣]
والله ربــــي إن قتلـــت لمســـلماً	:::	**حلــت عليــك عقوبــة المعتمــد** [٤]

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب بها إلى علي، ورأى أن ذلك يحصل لـه به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: بشر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لكل نبي حواري وحواريي الزبير»** [٥]، ولما رأى علي سيف الزبير قـال إن هـذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله [٦]، وفي رواية: منع أمـير المؤمنين علـي ابـن جرموز من الدخول عليه، وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار [٧]، ويقال إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العـراق فـاختفى منه، فقيل لمصعب إن عمرو بن جرموز ههنا وهو مختفي، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهـر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد [٨] للزبير منه، فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[٩].

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبير سيموت شهيداً، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك فقال رسول الله ﷺ : **«اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»** وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحـة والـزبير ﷺ [١٠]، قال النووي: وفي الحديث معجزات لرسول الله ﷺ منها إخبـاره أن هـؤلاء شـهداء، ومـاتوا كلهم - غير النبي ﷺ وأبي بكر - شهداء، فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير ﷺ قتلـوا ظلماً شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصـرفاً تاركـاً

---

(١) معرد: المعرد: الصلب والشجاع.

(٢) الجنان: القلب

(٣) البداية النهاية (٧ / ٢٦١) ، العردد: الصلب الشديد.

(٤) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

(٥) فضائل الصحابة (٢ / ٩٢٠).

(٦) البداية النهاية (٧ / ٢٦١)

(٧) الطبقات ٠ ٣ / ١٠٥) إسناده صحيح ، خلافة علي: ص (١٦٤) عبد الحميد.

(٨) أقيد: قود: القتل بالقاتل

(٩) البداية النهاية (٧ / ٢٦١)

(١٠) مسلم رقم (٢٤١٧).

للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل مظلوماً فهو شهيد [١].

قال الشعبي: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: علي وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه ﷺ ورضوا عنه، ولأن الأربعة قتلوا، ورزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة[٢].

١٤ – حرصه على أداء دينه عند الموت: عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدينه، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دين إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. قال: فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، فبعتها – يعني وقضيت دينه – فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، وكان للزبير أربع نسوة فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف [٣]، وقول البخاري، رحمه الله، محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربع سنين دون القسمة [٤]، وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير [٥]، وبارك الله له في أراضيه بعد موته، فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير، وفي هذه القصة دروس وعبر وفوائد:

أ – قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي، وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوي الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله عز وجل، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازماً بأن كل شيء

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٢٧١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٦٢).
(٣) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٤) شذرات الذهب (١ / ٢٠٩).
(٥) الإصابة لابن حجر (٢ / ٤٦١).

بيد الله جل وعلا، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء، وأن المخلوقين الذين يشكلون طرفاً آخر في قضيته إنما هم في قبضة البارئ جل وعلا، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء، فليلجأ إليه قبل كل شيء ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله تعالى موصلة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدر هو الله تعالى، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها [(١)] المعروفة.

ب – هل كان الزبير ﷺ من الأثرياء؟ نرى النص السابق ينطق بأن الزبير ﷺ، ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك، بل كان يشعر بالضائقة ويهمه أمر ما في ذمته من أموال وديون، وكان يخشى ألا تفي أرضه وعقاره بما عليه من أموال، كما ينطق هذا النص أيضاً بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف أباه في توقعه، بل كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفترى يبقى ديننا من مالنا شيئاً؟ فلا يجد عبد الله جواباً لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما يتوقع أبوه، لأجابه مطمئناً إياه في هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدر ويتوقع، بل تجده يجاري أباه صراحة في توقعه، فيسأله – عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه –: من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطاً بثروة أبيه، عارفاً بأملاكه، فإن عبد الله كان في ذلك الوقت في سن الخامسة والثلاثين، ومن يكن في مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهيراً لأبيه عالماً بكل أحواله وأمواله، وبخاصة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: أفترى يبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد الله صرح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هيناً، فيقول: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه، فيقضه [(٢)]. ومما يشهد أيضاً بأن الزبير لم يكن معدوداً من الأغنياء وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله، أن حكيم بن حزان ﷺ – وهو ابن عم الزبير – تلقى عبد الله بن الزبير فيقول له: ما أراكم تطيقون هذا الذي عليكم من الديون فإن عجزتم عن شيء منه، فاستعينوا بي [(٣)]. ودليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر ﷺ لعبد الله بن الزبير – وكان له

(١) التاريخ الإسلامي (٢٠ / ٣٠٩).
(٢) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٣) البخاري رقم (٣١٢٩).

عند الزبير أربعمائة ألف – فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله بن الزبير: لا. قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم [١]. فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ويعدانه ممن يحتاج إلى عون ومساعدة، ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحواله، فأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن خاله، فأم الزبير صفيه بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وهو يتعامل معه أخذاً وعطاء واقتراضاً وائتماناً، فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير ﷺ، ما كان من أصحاب الثروات [٢].

وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله، ففي بعض المصادر أنه كان له ألف مملوك، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهم واحد، يتصدق بذلك جميعه [٣]. لكن المستشرق الذائع الصيت "ول ديورانت" جعل الألف عشرة آلاف، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد. ثم أضاف إليها ألف جواد [٤]، وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خبر تصدق الزبير بخراج مماليكه [٥]، وهذا الخبر لا تقف أمام رواية البخاري، إذ جاء فيها "فقتل الزبير ولم يترك ديناراً ولا درهماً، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر [٦]، فالرواية واضحة، وهي بأسلوب الحصر، وفي مقام الحديث عن هم الدين، والكرب التي كانت في سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيمة وقدر، ألا يساوي المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم[٧]، فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً؟! هذا كله على فرض أنها كانت ألفاً فقط، أما إذا أخذنا بشطحة ول ديورانت، وأنها عشرة آلاف مملوك، فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها – مهما كان بخساً – أن يسدد ديونه، ويغرق ورثته في لجج الثراء، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لديني. ولا

---

(١) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٢) الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ، عبد العظيم الديب ص (٩).
(٣) سير السلف الصالحين (١ / ٢٢٧) في إسناده ضعف.
(٤) الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ص (١١).
(٥) المصدر نفسه ص (١٣).
(٦) البخاري (٣١٢٩).
(٧) الزبير بن العوام ، الثروة: ص (١٤).

أن يسأله: أفترى يبقى ديننا من مالنا شيئاً؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني، فاستعن عليه بمولاي [١].

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين علي وعصره، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي، كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية، فبيان سيرتهم، وأخلاقهم وصفاتهم واجب علينا، وحتى يخرج القارئ بمعرفة حقيقية لهذه الشخصيات، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي أسهمت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي ﷺ ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارئ من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين.

ثاني عشر: سيرة طلحة بن عبيد الله ﷺ واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي [٢]، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة، وعدد ما بينهم من الآباء سواء [٣]، وأمه ﷺ الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي [٤]، أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة [٥]، وطلحة ﷺ أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ﷺ وأحد الستة أصحاب الشورى [٦].

---

(١) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٢) الإصابة (٢ / ٢٢٠) ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (٢ / ٢١٠).
(٣) فتح الباري (٧ / ٨٢).
(٤) الإصابة (٢ / ٢٢٠).
(٥) المصدر السابق (٤ / ٣٣٧) ، فتح الباري (٧ / ٨٢).
(٦) المستدرك للحاكم (٣ / ٣٦٩) ، عقيدة أهل السنة في الصحابة (١ / ٢٢٨).

١ – إسلامه وابتلاؤه وهجرته: قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهرة الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل، وحرة [١] وسباخ [٢]، فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل عليه، فاتبعه، فإنه يدعو إلى الحق وإلى الخير. وأخبر طلحة بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب، فسر رسول الله ﷺ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم وكان نوفل يدعى أسد قريش ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين [٣]، هذا وقد أوذي طلحة في الله ولقي أذى كبيراً من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقي طلحة ﷺ صابراً على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة، ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة لقيه طلحة قادما من الشام في عير، فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب الشام، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من تجارته، ثم خرج بعد ذلك بآل أبي بكر، فهو الذي قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأولين ﷺ [٤]، ولما قدم المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبي أيوب الأنصاري [٥]، وقيل كعب بن مالك الأنصاري، حين آخى بين المهاجرين والأنصار [٦].

٢ – في غزوة بدر: كان طلحة بن عبيد الله ﷺ، قد كلف بتحسس عير قريش، وذلك لما تحين رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث ﷺ طحلة وسعيد بن زيد، رضي الله عنهما، يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى

(١) حرة: هى الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات.

(٢) سباخ: جمع سبخة ، وهي أرض ذات الحجارة السود النخرات.

(٣) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٨).

(٤) المصدر نفسه (٧ / ٢٥٨) ، فرسان من عصر النبوة: ص (٢٢٥).

(٥) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٨).

(٦) فرسان في عصر النبوة: ص (٢٢٥) ، الاستيعاب لابن عبد البر.

مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، وكان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر فأسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما، سهماً كالمقاتلين، وأجراً كالمجاهدين [١].

٣ – في غزوة أحد، أوجب طلحة ﷺ: عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي ﷺ : **«من للقوم؟»** قال طلحة: أنا. قال: **«كما أنت»**، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقاتل حتى قتل، ثم التفت ﷺ، فإذا المشركون، فقال: **«من لهم؟»** قال طلحة: أنا: قال: **«كما أنت»**، فقال رجل من الأنصار: أنا. **«قال: أنت»**، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبي الله (طلحة) فقال: **«من للقوم؟»** قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: حسبي. فقال رسول الله ﷺ : **«لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون»**. ثم رد الله المشركين [٢]، وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ : **«لو قلت بسم الله لرأيت يبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حي في الدنيا»** [٣]، وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد [٤]، وجرح في تلك الغزوة تسعاً وثلاثين، أو خمساً وثلاثين وشلت أصبعه – أي السبابة والتي تليها – [٥]،وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة [٦]، وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقطع نساه – يعني العرق – وشلت إصبعه، وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغشي – الإغماء – ورسول الله ﷺ يرجع به القهقرى، كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب [٧]، حتى قال عنه ﷺ : **«أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع»** [٨].

---

(١) الحاكم في المستدرك (٣ / ٣٦٩). الاستيعاب (٤١٨٨).
(٢) السلسلة الصحيحة رقم (٢١٧١) ، الحديث حسن بمجموع طرقه.
(٣) فضائل الصحابة رقم (١٢٩٤) إسناده صحيح.
(٤) البخاري رقم (٤٠٦٣).
(٥) البخاري (٧ / ٣٦١) أصحاب الرسول (١ / ٣٦٤).
(٦) فتح الباري (٧ / ٣٦١).
(٧) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٢).
(٨) صحيح الجامع للألباني رقم (٢٥٤٠).

٤ – شهيد يمشي على الأرض: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله: **«اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»**، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص[١] فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى ﷺ ظل يبحث عن شهادته في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ عدا غزوة بدر [٢]، فقد كان في مهمة كلفه بها رسول الله ﷺ كما مر معنا، وقال عنه النبي ﷺ : **«من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»** [٣].

٥ – من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه: عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمن قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته، يوقرونه ويهابونه، قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد – يعني طلحة – وعلى ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال:: **«أين السائل عمن قضى نحبه؟»** قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال: **«هذا ممن قضى نحبه»** [٤].

٦ – دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم: عن مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني، هو أعلم لحديث رسول الله منكم – يعني أبا هريرة – نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما أن قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك، إنا كنا أهل بيوت وكنا إنما نأتي رسول الله ﷺ غدوة وعشية، وكان مسكيناً لا مال له – أبو هريرة – إنما هو باب رسول الله، فلا أشك أنه سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله ما لم يقل [٥].

٧ – إنفاقه في سبيل الله: عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه [٦]، وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه ماله من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ. فقال: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في

---

(١) مسلم رقم (٢٤١٧).
(٢) أصحاب الرسول (١ / ٢٦٠).
(٣) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢).
(٤) رواه الترمذي بإسناد حسن رقم (٣٧٤٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٧) إسناده حسن.
(٦) الحلية (١ / ٨٨) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٠).

بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك، فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه. فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علي منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقى: قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم [١]، وعن سعدى بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة يوماً وهو خاثر [٢]، فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله، نعم خليلة المسلم أنت، ولكن مال عندي قد غمني. فقلت: ما يغمك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام ادع لي قومي، فقسمه فيهم، فسألت الخازن، كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف [٣]، وعن الحسن البصري أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له بسبعمائة ألف فبات أرقاً من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرقه [٤]، وعن علي بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألني بها أحد قبلك، إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفعت إليك الثمن فقال: الثمن، فأعطاه وكان ﷺ لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلا كفاه وقضى دينه، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشرة آلاف [٥]، إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود [٦]، وقد سماه رسول الله بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذي قرد [٧]، فأطعمهم وسقاهم فقال النبي ﷺ : **«يا طلحة الفياض»**. فسمي طلحة الفياض[٨].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٣٠ ، ٣١).

(٢) خائر النفس: غير نشط.

(٣) مجمع الزوائد (٩ / ١٤٨) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ٣١).

(٦) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٥٢٧).

(٧) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٨).

(٨) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر ، النهاية (٤ / ٣٧).

٨ – من فرائد أقواله ودرر جواهر كلامه: فمـن أقوالـه: إن أقـل عيـب الرجـل جلوسه في بيته [١]، ومما حفظ عنه قولـه: الكسوة تظهر النعمة، والإحسان إلى الخادم يكبـت الأعداء [٢]. ولطلحة ﷺ آراء ثاقبة وصحيحة في الناس، فكان لا يشاور بخيلاً في صـلة ولا جباناً في حرب [٣].

٩ – شهادة طلحة بن عبيد الله ﷺ: لما حضر يوم الجمل واجتمع به علي فوعظـه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع على ركبته، وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كان يلقيه، وجعل يقـول: إلى عباد الله، فأدركه مولى لـه فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقـال: إنـه مـات بالمعركة، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب [٤]، ثم قـال: عزيـز علي أبا محمد أن أراك مجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عجزي وبجـري[٥]، وتـرحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا بعشرين عام [٦]، ولا شك أن طلحة بـن عبيـد الله ﷺ، مـن أهل الجنة، فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قـال: قـال رسـول الله ﷺ : **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، والزبير وعبد الرحمن بن عوف في الجنة»**. ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا [٧]. ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة ﷺ، حيث شهد لـه الـنبي ﷺ أنـه مـن أهل الجنة، وأكرم بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة [٨].

١٠ – حفظ الله له بعد موته: إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله ﷺ بعد موته، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عاماً، ونقلوه إلى مكان آخر، فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقي لحيته، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجل عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحـة

---

(١) المستدرك (٣ / ٣٧٤) ، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه ، مختصر تاريخ دمشق (١١ / ٢٠٣) ، يقصـد أن العزلة بعد عن الاهتمام.
(٢) فرسان من عصر النبوة ، ص (٢٣٧).
(٣) فرسان من عصر النبوة ، ص (٢٣٧).
(٤) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٨).
(٥) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.
(٦) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين (٥٢٨)".
(٧) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩) ، والترمذي (٣٧٥٧) حديث حسن.
(٨) عقيدة أهل السنة (١ / ٢٩٣).

في المنام فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان، فإن النز - الرطوبة أو الماء - قد آذاني. فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة [١]، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

١١ - سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعلي وطلحة والزبير ﷺ: عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي ﷺ فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول، فأرني في اليوم آية واجعله عبرة، فخرج الرجل فإذا بيختي يشق الناس، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته [٢] والبلاط فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك[٣].

* * *

(١) أصحاب الرسول (١ / ٢٧٠).

(٢) الكركرة: الصدر.

(٣) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٩).

الفصل الثاني

معركة صفين

(٣٧ هـ)

معركة صفين (٣٧ هـ)

أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

١ - أم حبيبة بنت أبي سفيان ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام:

لما قتل عثمان رضي الله عنه أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان، أرسلوا إلي بثياب عثمان التي قتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرجاً بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها[١]، وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها [٢]، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية [٣]، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره [٤]، وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية، كان عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وألا فاعتزلنا [٥]. وآلى رجال الشام أن لا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم [٦]، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة بشعة، مقتل الخليفة، سيوفاً مسلطة من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال منتهكاً مسلوباً، وأصابع نائلة مقطوعة، فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون، ولا غرابة بعد هذا إطلاقاً أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام بالإصرار على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة؟! [٧].

---

(١) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٣٥٩).

(٢) البداية والنهاية (٧ / ٥٣٩).

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية ، محمد جميل: ص (٣٩٨).

(٤) البداية والنهاية (٧ / ٥٣٩) سندها ضعيف.

(٥) الأنساب (٤ / ٤١٨) ، تاريخ الدعوة الإسلامية: ص (٣٩٨).

(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٦٠٠).

(٧) معاوية بن أبي سفيان للغضبان: ص (١٧٨ - ١٨٣).

٢ - دوافع معاوية في عدم البيعة:

كان معاوية رضي الله عنه والياً على الشام في عهد عمر وعثمان، رضي الله عنهما، ولما تولى علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فاعتذر ابن عمر، فأرسل علي سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادي القرى) حتى عاد من حيث جاء، إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري، فقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع [(١)]. لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتص علي رضي الله عنه من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة [(٢)]، وقالوا: لا نبايع من يؤوي القتلة[(٣)]، وتخوفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قاتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلوماً باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه، والله يقول: **{وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً}** [الإسراء: ٣٣]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلوماً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات - وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ فقام أحدهم - واسمه مرة بن كعب - فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم [(٤)].

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: أرسل رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: **«يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني»** ثلاثاً،

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٦).

(٢) البداية والنهاية (٧ / ١٢٩).

(٣) العواصم من القواصم: ص (١٦٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجة (١ / ٢٤٠).

فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إلي به، فكتبت إليه به كتاباً [(١)].

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليس لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق، إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر منه [(٢)]، وقد انعقدت البيعة بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

٣ - معاوية يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما :

بعث علي رضي الله عنه كتباً كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه بجوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طوماراً [(٣)]، مع رجل، فدخل به على علي فقال له علي: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود [(٤)]، كلهم موتور [(٥)] تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهم به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد [(٦)].

٤ - تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك :

بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين علي، عزم الخليفة على قتال أهل الشام، كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان ابن حنيف بذلك، وخطب الناس فحثهم على ذلك، وعزم على التجهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قثم بن العباس، وهو عازم على أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج من

---

(١) مسند أحمد رقم (٢٤٠٤٥) ، حديث صحيح.
(٢) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي: ص (١١٢).
(٣) الطومار: الصحيفة.
(٤) القود: القاتل بالقتيل.
(٥) الموتور: صاحب الثأر.
(٦) البداية والنهاية (٧ / ٢٤٠).

أمره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال: يا أبه دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صمم على القتال، ورتب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يبق شيء في المدينة قاصداً الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك [(١)]، وقد تم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة معركة الجمل.

٥ - بعد معركة الجمل أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى معاوية:

ذكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين على إلى فتنة السبئية الثانية أو ما يسمى البصرة أو معركة الجمل، خمسة أشهر وواحد وعشرون يوماً، وبين دخوله الكوفة شهر، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر [(٢)]، وروي شهران أو ثلاثة [(٣)]، وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره ذلك، فنزل في الرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على همذان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هنالك ثم يقبلان إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد على أن يبعث إلى معاوية ﷺ يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلي: أنا أذهب يا أمير المؤمنين، فإن بيني وبينه وداً، فآخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه. فبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في موقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم، فرجع جرير إلى علي

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٤٠ ، ٢٤١).
(٢) مروج الذهب (٢ / ٣٦٠).
(٣) التاريخ الصغير للبخاري (١ / ١٠٢).

فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر، ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته. فقال لـه جرير: لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان، فقال الأشتر: والله لو بعثني لم يعيني جواب معاوية، ولأعجلنه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يتسقيم أمر هذه الأمة، فقام جرير مغضباً فأقام بقرقيساء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل لـه، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه [١]، وهكذا كان الأشتر سبباً في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله الذي كان والياً على قرقيساء وعلى غيرها ورأساً في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي. وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي وقال ﷺ **«يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك»** [٢].

٦ - مسيرة أمير المؤمنين إلى الشام:

استعد أمير المؤمنين علي لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس [٣]، وجهز جيشاً ضخماً اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات ضعيفة [٤] إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار فى خمسين ألفاً [٥].

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالنخيلة [٦]، وهو على ميلين من الكوفة آنذاك فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق [٧]، واستعمل أمير المؤمنين علي أبا مسعود الأنصاري، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف ثم خرج علي ﷺ بجيشه إلى المدائن (بغداد) فانضم إليه فيها من المقاتلة وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلى الموصل[٨]، وسلك ﷺ طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي حتى بلغ قرب

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٦٥).
(٢) مسلم رقم (٢٤٧٥).
(٣) الإصابة (١ / ١٢٣ ، ١٢٤) نقلاً عن الحاكم بسند حسن.
(٤) من قال: مائة وخمسون ألفاً أو يزيدون ، البداية والنهاية (٧ / ٢٦٠) ، مائة وعشرون ألفاً: المعرفة والتاريخ (٣ / ١٣) بسند منقطع ، وقدر بتسعين ألفاً: تارخ خليفة بن خياط: ص (١٩٣).
(٥) تاريخ خليفة: ص (١٩٣) بسند حسن.
(٦) موقع قرب الكوفة من جهة الشام ، معجم البلدان (٥ / ٢٧٨).
(٧) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٨٨).
(٨) تاريخ الطبري (٥ / ٦٠٣) بسند حسن إلى عوانة منقطعاً.

قرقيسياء [١]، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم علي إلى الرقة [٢]، وعبر منها الفرات غرباً ونزل على صفين [٣].

٧ - خروج معاوية إلى صفين:

كان معاوية جاداً في مطاردة قتلة عثمان ﷺ، فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غزوا المدينة من المصريين أثناء عودتهم وقتلهم، ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعي [٤]، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل "خربتا" تطالب بدم عثمان ﷺ، وقد استطاعت هذه الفرقة إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام ٣٦ هـ، كما استطاع أيضاً أن يوقع برءوس مدبري ومخططي غزو المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن بن عديسي وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة فحبسهم في فلسطين، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلى صفين، ثم قتلهم في شهر ذي الحجة عام ٣٦ هـ، وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن علياً نهد إليكم في أهل العراق... فقال ذو الكلاع الحميري: عليك أمرأى وعلينا امفعال [٥] [٦].

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان ﷺ، والقتال [٧]، وقد قام عمرو بن العاص ﷺ، بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيباً يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة، ومنهم من قتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمعكم أن تبطلوه [٨]، وسار معاوية في جيش ضخم، اختلفت الراويات في تقديره، وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهي عين الروايات التي قدرت جيش علي ﷺ فقدر بمائة ألف وعشرين ألفاً [٩]،

---

(١) قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات - معجم البلدان (٤ / ٣٢٨).
(٢) الرقة: مدينة مشهورة - في سوريا اليوم - على نهر الفرات الشرقي ، معجم البلدان (٣ / ١٥٣).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٦٠٤).
(٤) المحن لأبي العرب التميمي: ص (١٢٤) ، خلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٩١).
(٥) خلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٩١).
(٦) لغة حمير في إبدال لام (أل) التعريف ميماً ، أي: عليك الرأي وعلينا الفعال.
(٧) أنساب الأشراف (٢ / ٥٢) بسنده منقطع ، خلافة علي: ص (١٩٢).
(٨) تاريخ الطبري (٥ / ٦٠١) بسند منقطع.
(٩) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩٤) ، المعرفة والتاريخ (٣ / ٣١٣).

وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير [١]، إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهي وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسي، حمصي من أهل الشام ولد عام (٧٢ هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلقاً ممن شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته [٢]، والإسناد إليه صحيح [٣]، وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميري على ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمي على المقدمة، هؤلاء هم من القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر [٤].

وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر في سهل فسيح، إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها في حيزه [٥].

٨ - القتال على الماء:

وصل جيش علي رضي الله عنه إلى صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعاً فسيحاً سهلاً يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعاً ما، إذ أغلب الأرض صخور ذات كدي وأكمات [٦]، فوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء، فهرع البعض إلى علي رضي الله عنه يشكو إليه هذا الأمر، فأرسل علي إلى الأشعث بن قيس فخرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء [٧]، إلا أنه قد وردت رواية تنفي وقوع القتال في أصله مفادها أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية في أمة محمد ﷺ ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذراري؟ إن الله يقول:**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ**

---

(١) خلافة علي: ص (١٩٤) ، تاريخ خليفة: ص (١٩٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٨٠).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩٤).

(٤) امتداد العرب في صدر الإسلام صالح العلي: ص (٧٣) و خلافة علي: ص (١٩٤).

(٥) صفين: نصر بن مزاحم: ص (١٦٠ ، ١٦١).

(٦) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٩٦) ، النصر المبين.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٤) بسند حسن

الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: ٩] قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خل بين إخواننا وبين الماء [(١)]. وقد كان القتال على الماء في أول يوم توجها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين، إذ استمر القتال بينهما متواصلاً طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة فكان علي ﷺ يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميراً، فتقتتلان مرة واحدة في اليوم، في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان تقتتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي الأشتر، وحجر بن عدي، شبث بن ربعي، وخالد بن المعتمر ومعقل بن يسار الرياحي، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال، وأملاً في وقوع صلح بين الطرفين، تصان به الأرواح والدماء [(٢)].

٩ - الموادعة بينهما ومحاولات الصلح:

ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة طمعاً في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة - شهر المحرم - وردت من طرق ضعيفة [(٣)]، مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها، كان البادئ بالمراسلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية ﷺ، يدعوه كما دعاه من قبل للدخول في الجماعة والمبايعة، فرد عليه معاوية برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية [(٤)]، كما أن قراء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه [(٥)]، وقد حاول اثنان من الصحابة، وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة، رضي الله عنهما، الصلح

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٤١) ، مرويات أبي مخنف: ص (٢٩٦).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ص (١٩٧ ، ١٩٨) ، البداية والنهاية (٧ / ٢٦٦) ، تاريخ الطبري (٥ / ٦١٤).

(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٦١٣) ، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩٩).

(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٦١٣، ٦١٢) ، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩).

(٥) المصدر نفسه (٥ / ٦١٤).

بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضاً لنفس الأسباب السابقة - فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما [١]، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع - أحد كبار التابعين - فوعظ وخوف ولم يقاتل [٢].

وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: "....... ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاري ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهما إنما دخلا في الإسلام ولم يزالا في تردد فيه، وغير ذلك وأنه قال في ذلك: لا أقول إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً،..... وهذا عندي لا يصح من علي رضي الله عنه " [٣]، وموقف علي رضي الله عنه من قتل عثمان واضح قد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي هذا الكتاب.

ثانياً: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية، خشية الالتحام الكلي إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة، وذكر أنها تسعون [٤].

إلا أن علياً أعلن في جيشه أن غداً الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك [٥]، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال [٦]، وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٧) بدون إسناد.

(٣) البداية والنهاية (٧ / ٢٦٩).

(٤) الأنباء بتواريخ الخلفاء: ص (٥٩) ، صفين: ص (٢٠٢) ، شذرات الذهب (١ / ٤٥).

(٥) البداية والنهاية (٧ / ٢٧٣).

(٦) سنن سعيد بن منصور (٢ / ٢٤٠) ضعيف.

١ – اليوم الأول:

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرى: قلب وميمنة وميسرة، فكان جيش علي ﷺ على النحو التالي [(١)]: علي بن أبي طالب على القلب، وعبد الله بن عباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجالة، ومحمد ابن الحنفية، حامل الراية، وهاشم بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث بن قيس على الميمنة، وأما جيش الشام، فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع، وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مضر، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء [(٢)]، وتقابلت الجيوش الإسلامية ومن كثرتها قد سدت الأفق، ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب [(٣)] وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد ثبتوا إلى نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعداداً لهذا اليوم:

أصبحت الأمة في أمر عجب ::: والملك مجموع غداً لمن غلب
فقلت قولاً صادقاً غير كذب ::: إن غداً تهلك أعلام العرب[(٤)]

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن علياً خطب في جيشه، وحرضهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله [(٥)] وتذكر أيضاً أن عمر بن العاص قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها [(٦)]، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها، لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه ويهتم بكل ما يؤدي به إلى النصر، والتحم الجيشان في قتال عنيف، استمر محتدماً إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلي كل فريق في معسكره وبينهما جثث القتلى في الميدان تفصل بينهما وسأل أحد أفراد جيش علي ﷺ حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول في قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل قتل

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.
(٣) شاعر تغلب في عصره ، مخضرم ، شهد صفين مع معاوية ، وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان ، وأهل الشام، والأعلام للزركلي (٦ / ١٨٠).
(٤) البداية والنهاية (٧ / ٢٧٣) ، تاريخ الطبري (٥ / ٢٦٢).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٦٢٢) من طريق أبي مخنف
(٦) الطبقات (٤ / ٢٥٥) من طريق الواقدي.

منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة [(١)]، وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحداً، ولم ير مولياً حتى انتهى ذلك اليوم، وفي المساء خرج علي ﵁ إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلاً: اللهم اغفر لي ولهم [(٢)].

٢ - اليوم الثاني:

في يوم الخميس تذكر الروايات أن علياً ﵁ قد غلس بصلاة الفجر واستعد للهجوم، وغير بعض القيادات، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلاً من الأشعث بن قيس الكندي الذي تحول إلى الميسرة [(٣)]، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم وأظهروا تفوقاً على أهل الشام، واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية، وعليها حبيب بن مسلمة، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء)، وأظهر شجاعة وحماساً منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئي، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أبت لي عفتي وأبى بلائي	:::	**وأخذي الحمد بالثمن الربيح**
وإكراهي على المكروه نفسي	:::	**وضربي هامة البطل المشيح**
وقولي كلما جشأت وجاشت	:::	**مكانك تحمدي أو تستريحي** [(٤)].

واستحث كتيبته الشهباء، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم على الموت، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع، وحوشب وعبد الله بن الخطاب ﵁، وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدماً، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحر القتل في أهل العراق وكثرت الجراحات، ولما رأى علي جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالاً شديداً واتجه إلى القلب حيث ربيعة فثارت فيه الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال [(٥)].

---

(١) سنن سعيد بن منصور (٢ / ٣٤٤، ٣٤٥) ، بسند ضعيف.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٩٧) بسند ضعيف.
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٦٣٠).
(٤) المصدر نفسه (٥ / ٦٣٦).
(٥) الإصابة (١ / ٤٥٤) و أنساب الأشراف (٢/ ٥٦) بسند حسن إلى قتادة مرسلاً.

وكان عمار بن ياسر ﷺ قد جاوز الرابعة والتسعين عاماً، وكان يحارب بحماس، يحرض الناس، ويستنهض الهمم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشام. فنهاه عمار عن ذلك، وقال: إنما بغوا علينا فنحن نقاتلهم لبغيهم فإلهنا واحد ونبينا واحد وقبلتنا واحدة [١].

ولما راى عمار ﷺ تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول ﷺ: من سره أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفين محتسباً، فإني لأرى صفاً يضربكم ضرباً يرتاب منه المبطلون، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، ولعلمنا أن مصلحينا على الحق، وأنهم على الباطل [٢]. ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد - لكبر سنه - ويشتد على حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ويستحثه في التقدم ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم، ويطمع أصحابه أيضاً فيقول: أزفت الجنة وزينت الحور العين، من سره أن تكتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين محتسباً. وكان منظراً مؤثراً فهو صحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتسعين يمتلك كل هذا الحماس وهذا العزم والروح المعنوية العالية واليقين الثابت، فكان عاملاً مهماً من عوامل حماس جيش العراق ورفع روحهم المعنوية مما زادهم عنفاً وضراوة وتضحية في القتال، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم، وتقدم هشام بن عتبة بن أبي وقاص، وهو يرتجز بقوله:

أعور يبغي أهله محلاً ::: قد عالج الحياة حتى ملا

لابد أن يفل أو يفلا [٣]

وعمار يقول: تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل[٤]، وقد فتحت أبواب الجنة وتزينت الحور العين:

اليوم ألقى الأحبة ::: محمداً وحزبه [٥]

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٩٠) الإسناد حسن لغيره.

(٢) مجمع الزوائد (٧ / ٢٤٣) ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ص: ٢١٩ ، إسناده حسن.

(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٦٥٢)

(٤) الأسل: الرماح.

(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٦٥٢)

وعن غروب شمس ذلك اليوم الخميس، طلب عمار شربة من لبن ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن [١]، ثم تقدم واستحث مع حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري فلم يرجعا وقتلا [٢]، رحمهم الله ورضي الله عنهما.

٣ - ليلة الهرير يوم الجمعة:

عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين علي قتالاً شديداً وبايع على الموت [٣]، وذكر أن علياً رضي الله عنه صلى بجيشه المغرب صلاة الخوف[٤] وقال الشافعي: وحفظ عن علي أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير [٥]، يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نعانق بعضنا بعضاً ولما سارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم، ثم ترامينا بالحجارة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادمنا بالأفواه إلى أن أصبحوا في يوم الجمعة، وارتفعت الشمس وإن كانت لا ترى من غبار المعركة وسقطت الألوية والرايات، وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدي وجفت الحلوق [٦].

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما ليهمر على الآخر، ويهمر عليه، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام [٧].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٣٠٢ ، ٣٠٣) بسند منقطع.
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٦٥٣).
(٣) المستدرك (٣ / ٤٠٢) قال الذهبي: ضعيف ، خلافة علي: ص (٢٢٦).
(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٣ / ٢٥٢) قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة التمريض ، إرواء الغليل (٣ / ٢).
(٥) تلخيص الحبير (٢ / ٧٨) ، خلافة علي بن أبي طالب: ص (٢٢٧).
(٦) شذرات الذهب (١ / ٤٥) ، وقعة صفين: ص (٣٦٩).
(٧) البداية والنهاية (٧ / ٢٨٣).

٤ - الدعوة إلى التحكيم:

إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة في أصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ، فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري غداً، إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل [١].

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى، ثم قال لأصحابة: اربطوا المصاحف على أطراف القنا [٢]، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص، ولا للمخادعة والاحتيال، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمراً شيء أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة، إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركاماً من الروايات المضللة بشأنها تحيل الحق باطلاً، وتجعل الفضل - كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة - جريمة ومؤامرة [٣] وحيلة ونسبوا لأمير المؤمنين علي أقوالاً مكذوبة تعارض ما في الصحيح، على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة [٤].

ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة [٥]، ووسعوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري وابن الأثير وغيرهما، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام، ومحمد الخضري بك في

---

(١) وقعة صفين: ص (٤٧٩).
(٢) المصدر نفسه: ص (٨٨١ - ٨٨٤).
(٣) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (٣١٦).
(٤) الكامل (٢ / ٣٨٦).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٦٦٢).

تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار في تاريخ الخلفاء الراشدين، وغيرهم كثير، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبي مخنف تفترض أن علياً رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد [١]، وهذه الرواية تحمل سباً من علي لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذلك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي؟! ويكفي للرواية سقوطاً أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال علي بن أبي طالب فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى علي المصحف، فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله**{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ}** [آل عمران: ٢٣]، فقال علي: نعم، أنا أولى بذلك، فقام القراء - الذين صاروا بعد ذلك خوارج - بأسيافهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري ﷺ فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ، يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر ﷺ للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ، فقال علي: أيها الناس إن هذا فتح، فقبل القضية ورجع، ورجع الناس [٢].

وأظهر سهل بن حنيف ﷺ اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم [٣]، وبين لهم أنه لا خيار عن الحوار والصلح لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها، فقد قال: ما وضعنا بسيوفنا على عواتقنا إلى أمر إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خصماً إلا تفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي له [٤]. وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة، مبغضي الصحابة الذين يضعون

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٦٦٢ ، ٦٦٣).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٣٣٦) ، مسند أحمد مع الفتح الرباني (٨ / ٤٨٣).
(٣) البخاري رقم (٤١٨٩).
(٤) البخاري رقم (٤١٨٩).

الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الـذين شـاركوا في صفين، ليظهروا بمظهر المتحمس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرار [١] الفتنة.

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاويـة وقبـول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة لـه، تطـور فرضـته أحـداث حرب صفين، إذ أن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهـاً جماعيـاً رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات [٢].

إن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه قبل وقف القتال في صفين، ورضي التحكيم وعد ذلك فتحـاً ورجع [٣] إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخـلاف، وجمـع الكلمـة، ووحـدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد.

إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم والاستجابة لـه أسهمت فيها عدة عوامل منها:

أ - أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقـن الـدماء سـواء تلك المحاولات الجماعية أو المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعـة الجمـل ولم تفلـح، أمـا الرسائل التي بودلت بين الطرفين لتفيد وجهات نظر كل منهما، فلم تجد هي الأخرى شـيئاً، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال حيـث كتـب إلى علـي رضي الله عنه يطالبه بوقف القتال فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنا إن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى منا ما ينبغـي أن ننـدم علـى مـا مضى ونصلح ما بقى [٤].

ب - تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافـة الفنـاء، فصـارت الـدعوة إلى إيقـاف الحرب مطلباً يرنو إليه الجميع.

جـ - الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علي في اتجاه الموادعة، وكانوا يرددون: قد

(١) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف: ص (٥٣٠).
(٢) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين: ص (٣٨).
(٣) دراسة في تاريخ الخلفاء: ص (٣٨).
(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ص (١٨٧) ، دراسات في عهد النبوة: ص (٤٣٢).

أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة [١]، وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي روج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص، بل رفع المصحف في الجمل، ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقتل.

د - الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، قال تعالى: **{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}** [النساء: ٥٩] ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله، قال: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله [٢].

٥ - مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله ﷺ لعمار، رضي الله عنه: **«تقتلك الفئة الباغية»** [٣] من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبي ﷺ وقد كان لمقتل عمار رضي الله عنه - أثر في معركة صفين و فقد كان علماً لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافاً سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع [٤] حديث رسول الله ﷺ عن عمار: **«تقتله الفئة الباغية»**. واستمر في القتال حتى قتل [٥]، وكان لمقتل عمار أثر في معسكر معاوية، فهذا أبوعبد الرحمن السلمي دخل غي معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبا الأعور السلمي، عند شريعة الماء يسقون، وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقى منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمار بن ياسر، إذ قال عبد الله لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال. فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض [٦] في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به [٧]، انتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم، وجاء في رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله ﷺ:

---

(١) صفين: ص (٤٨٢ - ٤٨٥)، دراسات في عهد النبوة: ص (٤٣٣).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٣٣٦).
(٣) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٤) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٥) خلافة علي: ص (٢١١)، مجمع الزوائد للهيثمي (٧ / ٢٤٢)، وقال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر وهو لين.
(٦) الدحض: الزلق، والداحض: من لا ثبات له، ولا عزيمة في الأمور.
(٧) مسند أحمد (٢ / ٢٠٦) إسناده حسن.

«تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فزعاً يرجع حتى دخل على معاوية فقال لـه معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار. قال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول لـه: **«تقتلك الفئة الباغية»**. فقال لـه معاوية: دحضت في بولك، أونحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه، وجاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[1].

وفي رواية صحيحة أيضاً: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما. أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكم نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تقتله الفئة الباغية»**. قال معاوية فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: **«أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه. فأنا معكم ولست أقاتل»** [2].

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما حريص على قول الحق والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده، هم الفرقة الباغية لقتلهم، عماراً، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة، ولا شك أن مقتل عمار ﷺ قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث و إلا أن معاوية ﷺ أول الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح في أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاءوا به إلى القتال [3]. وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب [4]، وقد قال ﷺ: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة [5]، وقد جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا نحمل لبنة، وعمار لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: **«ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»** قال عمار: أعوذ بالله من الفتن [6]، وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: **«تقتل عماراً الفئة الباغية»**، وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته ﷺ وهو من أصح الأحاديث [7]، وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر [1].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١١ / ٢٤٠) بسند صحيح.

(٢) مسند أحمد (١١ / ١٣٨ ، ١٣٩).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (٣٢٥).

(٤) معاوية بن أبي سفيان ، الغضبان ، ص (٢١٥).

(٥) أنساب الأشراف (١ / ١٧٠) ، عمرو بن العاص للغضبان: ص (٦٠٣).

(٦) البخاري رقم (٤٤٧).

(٧) الاستيعاب (٣ / ١١٤٠).

٦ - فهم العلماء للحديث:

أ - قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه [٢].

وقال أيضاً: دل الحديث: تقتل عماراً الفئة الباغية، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب، لأن أصحاب معاوية قتلوه [٣].

ب - يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث [٤].

جـ - قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار: **«تقتلك الفئة الباغية»** [٥]، وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن علياً محق، وأن معاوية باغ، وما في ذلك من دلائل النبوة [٦].

د - وقال الذهبي: هم طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: **«تقتلك الفئة الباغية»** [٧].

هـ - قال القاضي أبو بكر بن العربي: في قوله تعالى: **{وَإِن طَائِفَتَانِ}** هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عني النبي ﷺ بقوله: **«تقتل عماراً الفئة الباغية»** [٨].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١ / ٤٢١).
(٢) فتح الباري (١ / ٦٤٦).
(٣) فتح الباري (١٣ / ٩٢).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ٣٨).
(٥) البداية والنهاية (٦ / ٢٢٠).
(٦) المصدر نفسه (٧ / ٢٧٧).
(٧) سير أعلام النبلاء (٨ / ٢٠٩).
(٨) أحكام القرآن (٤ / ١٧١٧).

و – وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار – وإن كان متـأولاً – وهـو دليـل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ – وإن كان متأولاً – أو باغ – بلا تأويل – وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين [(١)]، وقال أيضاً: مع أن عليـاً أولى بـالحق ممن فارقه، ومع أن عماراً قتلته الفئة الباغية – كما جاءت به النصـوص – فعلينـا أن نـؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنـا هـوى، ولا نـتكلم بغـير علـم، بـل نسلك سبل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف [(٢)].

ز – وقال عبد العزيز بن باز: وقـال ﷺ في حـديث عمـار: **«تقتل عماراً الفئة الباغية»** فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان [(٣)].

ح – وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذي وردت النصـوص مبينـة أنـه تقتلـه الفئة الباغية، تبين للمترددين أن علياً كان على حق وأن القتال معه كان واجباً، ولذا عبر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذه التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق كما أفتى بذلك الفقهاء [(٤)].

٧ – الرد على قول معاوية ﷺ إنما قتله من جاء به [(٥)]:

إن جل الصحابة والتابعين قد فهموا مـن قـول رسـول الله ﷺ لعمـار: **«تقتلك الفئة الباغية»** [(٦)] أن المقصود: جيش معاوية ﷺ مع أنهم – أي معاوية وجيشـه – معـذورون في اجتهادهم، فهم يقصدون الحق ويريدونه ولكنهم لم يصيبوه، وفئة علي أولى بالحق منهم كما قال ﷺ [(٧)]، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاويـة – كمـا سـأنقل – إلا أنهـم عـذروه في

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٤٣٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٤ / ٤٤٩ ، ٤٤٥٠).
(٣) فتاوى ومقالات متنوعة (٦ / ٨٧).
(٤) الأساس في السنة (٤ / ١٧١٠).
(٥) مسند أحمد (٢ / ٢٠٦) إسناده حسن.
(٦) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٧) معاوية ابن أبي سفيان: ص (٢١٠ – ٢١٤).

اجتهاده، فها هو ابن حجر يقول في قوله ﷺ : **«يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»** [(١)].

فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعونه إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سبيلها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي، وهو الإمام الواجب الطاعة، إذ ذاك، وكانوا هم يدعونه إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم[(٢)].

وقال القرطبي: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد، فصل ... علي ﵁، كان إماماً حقاً في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه [(٣)]، وقال أيضاً: وقد أجاب علي ﵁ عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي ﵁ إلزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها، قال الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية [(٤)]، وقال ابن كثير: فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا، تأويل بعيد جداً، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء [(٥)]، وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم [(٦)]، وقال ابن القيم معلقاً على هذا التأويل: نعم، التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله ﷺ لعمار: **«تقتلك الفئة الباغية»** [(٧)]. فقالوا نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا، فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به [(٨)].

---

(١) البخاري رقم (٤٤٧).
(٢) التذكرة (٢ / ٢٢٣).
(٣) التذكرة (٢ / ٢٢٣).
(٤) المصدر نفسه (٢ / ٢٢٢).
(٥) البداية والنهاية (٦ / ٢٢١).
(٦) منهاج السنة (٤ / ٤٠٦).
(٧) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٨) الصواعق المرسلة (١ / ١٨٤ ، ١٨٥).

٨ - من هو قاتل عمار بن ياسر؟:

قال أبو الغادية الجهني وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجل عورة، فطعنه في ركبته بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا هو رأس عمار. ثم قتل عمار قال الراوي: واستسقى أبو الغادية، فأتي بماء فى زجاج، فأبى أن يشرب فيها فأتي بماء في قدح فشرب، فقال رجل:... يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار [(١)]، ويخبر عمرو بن العاص رضي الله عنه، الخبر فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قاتل عمار وسالبه في النار»** [(٢)].

قال ابن كثير: ومعلوم أن عمار كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله يقال له أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل إنه صحابي [(٣)]، وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى [(٤)]، وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الروافض والخوارج، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير وقاتل عمار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل [(٥)]. وقد وفق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل، لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة [عنوان باب (قاتل عمار وسالبه في النار)] [(٦)]، إذ لا يمكن القول بأن أبا الغادية القاتل لعمار مأجور، لأنه قتله مجتهداً، ورسول الله ﷺ يقول: قاتل عمار في النار[(٧)]، فالصواب أن يقال: إن القاعدة الصحيحة، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا،

---

(١) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٦٠ ، ٢٦١).
(٢) السلسلة الصحيحة (٥ / ١٨ - ١٩).
(٣) البداية والنهاية (٦ / ٢٢٠).
(٤) الإصابة (٧ / ٢٦٠).
(٥) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ص (٦٥٤).
(٦) السلسلة الصحيحة (٥ / ١٨ - ١٩).
(٧) السلسلة الصحيحة (٥ / ١٨ - ١٩).

وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح [١] بها، وقد ترجم لأبي الغادية الجهني ابن عبد البر قال: اختلف في اسمه: فقيل: يسار بن سبع وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم. سكن الشام ونزل في واسط، يعد في الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو غلام، روى عنه أنه قال: أدركت النبي ﷺ وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبي ﷺ، قوله ﷺ : **«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»**[٢]، وكان محباً لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجب عند أهل العلم [٣].

٩ - المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين. كانت هذه الواقعة من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ ويقف مشدوهاً أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهما كان يقف وسط المعركة شاهراً سيفه وهو يؤمن بقضيته إيماناً كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها، وفي طريقة أدائها، وفيما خلفتها من آثار، فبواعثها في نفوس المشاركين تعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوان يذهبون معاً إلى مكان الماء فيستقون جميعاً ويزدحمون وهم يغرفون الماء وما يؤذي إنسان إنساناً [٤]، وهم إخوة يعيشون معاً عندما يتوقف القتال فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في معسكرهؤلاء. وهؤلاء في معسكر هؤلاء. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم [٥]، وهم أبناء قبيلة واحدة ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف [٦] قتالاً مريراً، وكل منهما يرى نفسه على الحق وعنده الاستعداد لأن يقتل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يثخنا (وهناً وضعفاً) ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا [٧]، وهما أبناء دين واحد يجمعها، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا

---

(١) المصدر نفسه (٥ / ١٩).
(٢) مسند أحمد (٤ / ٧٦) وسنده صحيح
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، رقم (٣٠٨٩)
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ٤١) ، مرويات أبي مخنف ، ص (٢٩٦).
(٦) البداية والنهاية (٧ / ٢٧٠) ، عن دراسات في عهد النبوة ، ص (٤٢٤)
(٧) تاريخ الطبري ، نقلاً عن دراسات في عهد النبوة ، ص (٤٢٤).

حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها [١]، ويوم قتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان [٢]، ويقول شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أياماً فكثر القتلى بيننا حتى عقرت الخيل، فبعث علي إلى عمرو بن العاص أن القتلى قد كثروا فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم، فأجابهم، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا - وشبك بين أصابعه - وكان الرجل من أصحاب علي يشد فيقتل في عسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مر أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى وقال: لقد كان مجتهداً أخشن في أمر الله [٣]، وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معاً، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي ولا إلى معاوية بن أبي سفيان وقالوا لأمير المؤمنين: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حده حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه، فقال علي: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة من لم يرضى بهذا فهو جائر خائن [٤].

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسم وقاتلوا عليها [٥].

١٠ - معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البديهية بعدما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى، فقد حس رسول الله ﷺ على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين فكيف إذا كان الأسير مسلماً؟! لاشك أن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقته [٦]، ولذلك كان علي ﷺ يأمر بحبسه فإن بايع أخلى سبيله وإن أبى أخذ سلاحه ودابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه أن لا يقاتل، وفي رواية يعطيه أربعة دراهم [٧]،

(١) تاريخ دمشق (١٨ / ٢٢٣٩) ، دراسات في عهد النبوة ، ص (٤٢٤).
(٢) أنساب الأشراف (٦ / ٥٦) بسند حسن إلى عتبة ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٤١)
(٣) أنساب الأشراف (٦ / ٥٦) بسند حسن إلى عتبة ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٤١).
(٤) صفين ، ص (١١٥) ، دراسات في عهد النبوة: ص (٤٢٤).
(٥) دراسات في عهد النبوة ، ص (٤٢٤).
(٦) كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير ، ص (١٣٣ ، ١٣٤).
(٧) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص (٢٤٣).

وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة وقد أتى بأسير يوم صفين، فقال الأسير: لا تقتلني صبراً فقال علي رضي الله عنه: لا أقتلك صبراً، إني أخاف الله رب العالمين، فخلا سبيله ثم قال: أفيك خير تبايع [١]؟.

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:

* إكرام الأثير والإحسان إليه.

* يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة، فإن بايع خلى سبيله.

* إن أبى البيعة أخذ سلاحه ويحلفه أن لا يعود للقتال ويطلقه.

* إن أبى إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبراً [٢]، وقد أتى رضي الله عنه مرة بخمسة عشر أسيراً - ويبدو أنهم جرحى - فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه [٣]، ويقول محب الدين الخطيب معلقاً على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها في حروبهم، ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيراً من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ولله في كل أمر حكمة [٤]، قال ابن العديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغي، ولهذا قال أبو حنيفة لولا ما سار علي فيهم، ما علم أحد كيف السيرة فى المسلمين [٥].

١١ - عدد القتلى:

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى، فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين بلغ عددهم سبعين ألفاً، من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألف مقاتل [٦]، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفاً أو أكثر [٧]، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر

---

(١) الإمام الشافعي (٤ / ٢٢٤) ، (٨ / ٢٥٦).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص (٢٤٣).
(٣) تاريخ دمشق ، تحقيق المنجد (١ / ٣٣١) ، خلافة علي بن أبي طالب ص (٢٤٣).
(٤) العواصم من القواصم ، ص (١٦٨ ، ١٦٩) من تعليق الخطيب في الحاشية.
(٥) بغية الطلب في تاريخ حلب (٣٠٩) ، خلافة علي ص (٢٤٥).
(٦) الأنباء للقضاعي ص (٥٩) نقلاً عن خلافة علي ص (٢٤٦).
(٧) الصواعق المرسلة (١ / ٣٧٧) بدون سند ، تحقيق محمد دخيل الله.

ثلاثة ايام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة[١]، ومهما كان القتال عنيفاً، فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة [٢]، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢ - تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين علي ﷺ بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت علياً على بغلة النبي ﷺ الشهباء، يطوف بين القتلى [٣]، وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشتر، مر برجل مقتول - وهو أحد القادة والعباد المشهورين بالشام - فقال الأشتر- وفي رواية أخرى عدي بن حاتم: يا أمير المؤمنين أحابس[٤] معهم؟ عهدي والله به مؤمن، فقال علي: فهو اليوم مؤمن. لعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين رأيت رؤيا أفزعتني، قال ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين. قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى:**{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً}** [الإسراء: ١٣]، فانطلق فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً، قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين [٥]، وقد وقف علي على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً [٦]، وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية [٧]، وكان يقول عنهم هم: المؤمنون [٨]، وقوله ﷺ في أهل صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل [٩].

---

(١) الدولة الأموية ، ص (٣٦٠ - ٣٦٢).

(٢) تاريخ الطبري (٤ / ٣٨٨).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة.

(٤) حابس بن سعد الطائي ، مخضرم ، قتل بصفين

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٧٤) بسند منقطع.

(٦) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص (٢٥٠).

(٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٣٠٣) بسند حسن.

(٨) تاريخ دمشق (١ / ٣٢٩ ، ٣٣١) ، خلافة علي ، ص (٢٥١).

(٩) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٥١.

١٣ - موقف لمعاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية - رضي الله عنهما وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير: وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحرهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، عند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة [١]، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

١٤ - قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين:

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص فاعترضه علي وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل ::: والخصر والأنامل الطفول [٢]

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه وارتث. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي [٣]. وذكر القصة أيضاً - ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف. وقول علي: إنه اتقاني بعورته فأذكرني الرحم إلى أن قال:.... ويروي مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع علي رضي الله عنه يوم صفين وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي كما رواه بن الكلبي وغيره:

أفي كل يوم فارس غير منته ::: وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه ::: ويضحك منه في الخلاء معاوية [٤]

---

(١) البداية والنهاية (٨ / ١٢٢).
(٢) الطفول جمع طفل ، بالفتح ، وهو الرخص الناعم.
(٣) وقعة صفين ، ص (٤٠٦ - ٤٠٨) ، قصص لا تثبت ، سليمان الخراشي (٦ / ١٩).
(٤) الروافض الأنف (٥ / ٤٦٢) ، قصص لا تثبت (٦ / ١٩).

والرد على هذا الافتراء والإفك المبين كالآتي: فراوي الرواية الأولى نصر بن مزاحم الكوفي صاحب وقعة صفين شيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد، تركوه، قال عنه العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة كان كذاباً [(١)]، وقال عنه ابن حجر: قال العجلي: كان رافضياً غالياً ليس بثقة ولا مأمون [(٢)]. وأما الكلبي هشام بن محمد بن الثائب الكلبي، فاتفقوا على غلوه في التشيع، قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحداً يحدث عنه. وقال الدارقطني: متروك [(٣)]، وعن طريق هذين الرافضين سارت هذه القصة في الآفاق وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة [(٤)]، وتعد هذه القصة أنموذجاً لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم على صحابة رسول الله، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله ﷺ وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار لكي يسهل انتشارها بين المسلمين و هادفين إلى الغض من جانب الصحابة الأبرار رضي الله عنهم في غفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التحقيق في روايات التاريخ الإسلامي بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصاص وأصبح كثير منها من المسلمات حتى عند مؤرخي أهل السنة للأسف [(٥)].

١٥ - مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف علي أمير المؤمنين رضي الله عنه من صفين مر بمقابر فقال: "السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع، وبكم عما قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا أحياءاً وأمواتا، الحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب وقنع بالكفاء" [(٦)].

---

(١) ميزان الاعتدال (٤ / ٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) لسان الميزان (٦ / ١٥٧).

(٣) المجروحون لابن حبان (٣ / ٩١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣)، معجم الأدباء (١٩ / ٢٨٧)، قصص لا تثبت (١ / ١٨).

(٤) قصص لا تثبت (١ / ٢٠).

(٥) المصدر نفسه (١ / ١٠).

(٦) البيان والتبيين للجاحظ (٣ / ١٤٨)، فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص (٣٢٧).

١٦ - إصرار قتلة عثمان ﷺ على أن تستمر المعركة:

إن قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتى يتفانى الناس وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلي ﷺ يجيبهم على طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه، لكن القتال توقف فسقط في أيديهم فلم يجدوا بداً من الخروج على علي ﷺ، فاخترعوا مقولة "الحكم لله" وتحصنوا بعيداً عن الطرفين والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في مرحلة الجمل رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهراً عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين، لأن اصطلاح علي مع معاوية هو أيضاً إصطلاح على دمائهم، لا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل ويتركوا ذلك في صفين[١].

١٧ - نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

روي أن علياً لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟. قال: بلى ورب الكعبة المسدنة، قالا: فلما تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لجج به[٢]. وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح و لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا أكثر حرصاً من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه [٣].

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص (١٤٧).

(٢) الأخبار الطوال ، ص (١٦٥) نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ٢٣٢).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ٢٣٢).

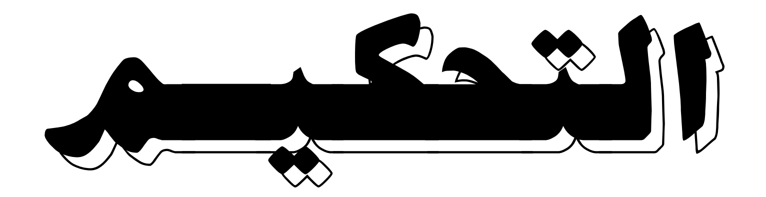
فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: **«من لعن مؤمناً فهو كقتله»** [(١)]، وقوله ﷺ : **«ليس المؤمن بطعان ولا لعان»** [(٢)]، وقوله ﷺ : **«لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»** [(٣)]. كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة فقد أنكر علي علي من سب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وابلغ في العذر وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم [(٤)]. فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة [(٥)].

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري ، ك الأدب (٧ / ٨٤).
(٢) السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم (٣٢٠) ، صحيح سنن الترمذي (٢ / ١٨٩) ، رقم (١١١٠).
(٣) مسلم (٤ / ٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨).
(٤) نهج البلاغة ، ص (٣٢٣).
(٥) أصول مذهب الشيعة (٢ / ٩٣٤).

الفصل الثالث



التحكيم

تم الاتفاق بين الطرفين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين، وهو أن يحكم كل واحد منهما رجلاً من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكل معاوية عمرو بن العاص، ووكل علي أبا موسى الأشعري، رضي الله عنهم جميعاً، وكتب بين الفريقين وثيقة قي ذلك، وكان مقراجتماع الحكمين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧ هـ، وقد راى قسم من جيش علي ﷺ أن عمله هـذا ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل علي ﷺ إليهم ابن عباس، رضي الله عنهما، فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم علي ﷺ بنفسه فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين علي ﷺ حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى.

تعد قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام وخصوصاً أبا موسى الأشعري الذي وصفوه بأنه أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة، ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص ﷺ، بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل كثير من المسلمين، وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها، وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها. وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه [١].

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص (٣٧٨) ،تنزيه خال المؤمنين معاوية: ص (٣٨).

أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن حضار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ [1] وقد أسلم أبو موسى بمكة قديماً، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة [2]، وتذكر بعض الروايات أنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله. وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو و جماعة قاصداً النبي ﷺ بخيبر... ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم فبعثه النبى ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد [3].

١ – أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله ﷺ على صدر أبي موسى:

أ – لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلي: عن أبي موسى، قال خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رهم، وأبو عامر، فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ : **«لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلي»** [4]، وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : **«يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوباً للإسلام منكم»**. فقدم الأشعريون، فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبة ::: محمداً وصحبه

فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة [5].

ب – هم قومك يا أبا موسى: عن عياض الأشعري قال: لما نزلت:**{فَسَوْفَ يَأْتِي**

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨١).
(٢) الطبقات (٤ / ١٠٧).
(٣) فتح الباري (٧ / ١٨٩).
(٤) مسلم رقم (٢٥٠٢)
(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٤) ، إسناده صحيح

اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤]. قال رسول الله: **«هم قومك يا أبا موسى»** وأومأ إليه [1].

جـ – اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً: عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فلقي دريد، وهزم الله أصحابه، فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته [2]. فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رآني، ولى ذاهبا، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست عربياً؟ ألا تثبت؟ قال: فكف، فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم. فنزعه فنزا منه الماء. فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له يستغفر لي.. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرت النبي ﷺ توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: **«اللهم اغفر لعبيد بن أبي عامر»**. حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: **«اللهم أجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك»**. فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: **«اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريما»** [3].

د – إن هذا قد رد البشرى فاقبلا أنتما: عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة [4] فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ قال: أبشر. قال: قد أكثرت من البشرى. فأقبل رسول الله علي وعلى بلال. فقال: إن هذا قد رد البشرى فاقبلا أنتما. فقالا: قبلنا يا رسول الله، فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، وحج فيه، ثم قال: اشربا منه وأفرغا على رءوسكما ونحوركما، ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فضلا لأمكما، فأفضلا لها منه [5].

هـ – لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود: عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: **«يا بريدة**

---

(١) المستدرك (٢/ ٣١٣) صححه الحاكم وثقه الذهبي، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٢٣٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٥)
(٣) مسلم ، رقم (٢٤٩٨).
(٤) الجعرانة بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة
(٥) مسلم ، رقم (٢٤٩٧).

أتراه يرائي؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزماراً من مزامير آل دواد»**. فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري، فأخبرته [١].

و – يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟: عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقب، فإذا أصعد الرجل قال: لا إلا إلا الله، والله أكبر – أحسبه قال: بأعلى صوته – ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: **«أيها الناس، إنكم لا تنادون أصم ولا غائباً»**، ثم قال: **«يا عبد الله بن قيس – أو يا أبا موسى – ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟»** قلت: بلى يا رسول الله. قال: **«قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»** [٢].

ز – يسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تنفرا: استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن [٣] وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن، قال لهما: **«يسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تنفرا»**، فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شراباً، يصنع مع العسل يقال له التبغ، ومن الشعير يقال له: المزر، قال: **«كل مسكر حرام»**، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائماً وقاعداً، أتفوقه تفوقاً، يعني شيئاً بعد شيء، قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكأن معاذاً فضل عليه [٤].

٢ – مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر، وكان قائداً للجيوش في فتح قم وقاشان [٥]، وموقعة تستر [٦]، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها [٧]، وقد تأثر بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان بينهما مراسلات، وكان أبو موسى ﷺ قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى ﷺ، من كبار

---

(١) مسلم ، رقم (٧٩٣). مجمع الزوائد (٩ / ٣٥٨).
(٢) مسلم ، رقم (٢٧٠٤).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ص (٩٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ٢٢٦)
(٤) مسلم ، رقم (١٧٣٣) ، البخاري (٤٣٤٤)
(٥) البداية والنهاية (٧ / ١١٤)
(٦) البداية والنهاية (٧ / ٨٨)
(٧) تفسير التابعين (١ / ٤٣٣).

علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة ﷺ، كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيباً مباركاً، أقرأ أهل البصرة وأفقههم، وقد كان ﷺ كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر وعلي وزيد بن ثابت وأبو موسى [(١)]، وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر، رضي الله عنهما، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى ﷺ أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحدث طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة [(٢)]. وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعليم كان حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين [(٣)]، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي، وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتفي بذلك، بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلم من الصلاة استقبل ﷺ الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن، قال بن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم [(٤)]، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر ﷺ إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر من القرآن [(٥)]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل ﷺ كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٩).

(٢) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد ، محمد طهماز ، ص: (١٢١).

(٣) الطبقات (٤/ ١٠٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٩٨).

(٥) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ، ص (١٢٥ ، ١٢٦) ، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم [١]، فكان القرآن الكريم شغله الشاغل ﵁، صرف له معظم أوقاته في حله وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر ﵁، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس [٢]، ولا تسمعها إياه [٣] حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه، فعن حطاب بن عبد الله الرقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري ﵁ في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للضوء، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حلقاً، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهب الناس للوضوء أيضاً فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث.

وأثمرت جهوده العلمية ﵁، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم، فكتب إلى أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجل [٤]، واهتم أبو موسى ﵁ بتعليم السنة وروايتها، فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين.

قال الذهبي – رحمه الله –: حدث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو إمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن هشام، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدي وخلق سواهم [٥]، وكان ﵁ شديد التمسك بسنة النبي ﷺ، دل على ذلك من سيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر ﵁ من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة﵃، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي ﷺ وكان من المقربين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم

(١) المصدر نفسه ص: (١٢٧) ، سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٩).
(٢) الطبقات (٤/ ١٠٨) رجاله ثقات ، كيس: عاقل فطن.
(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٩٠).
(٤) أبو موسى الأشعري ص (١٢٩).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨١).

يفري الأديم بلسانه فرياً، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس – ما بطأ بهم –؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عجلت الدنيا وغيبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا بدلوا [(١)]. ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس، وبعد موقعة تستر، أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم علي عمر بصاحبها الهرمزان [(٢)].

٣ – ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنه: يعتبر أبو موسى – بحق – أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجالس الإمارة ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيمة قال فيها عمر: (أما بعد، فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها) [(٣)].

وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحي إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه القيم عن الوثائق السياسية [(٤)].

وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري – رحمه الله – فقال: ما قدمها راكب خير

(١) أنس بن مالك الخادم الأمين ، وعبد الحميد طهماز ، ص: (١٣٥).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٦٦).
(٣) مناقب عمر لابن الجوزي ، ص (١٣٠)
(٤) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.

لأهلها من أبي موسى [(١)]، إذ أن أبا موسى – رحمه الله – كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها، حيث علمهم القرآن وأمور الدين المختلفة [(٢)]، وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس – والتي فتحت في زمنه – تخضع للبصرة، وتدار من قبل ولي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله، ويرتبطون بها ارتباطا مباشراً، وهكذا اعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر واعتبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبينت ملامح أسلوبه في التعامل معهم [(٣)]، وقد أوصى عمر ﷺ في وصيته للخليفة من بعده ألا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقر الأشعري أربع سنين[(٤)]، وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر وكان كتاب عمر إليه في القضاء أنموذجاً ومثالاً يفيد كل قاض، بل وكل إداري، في كل زمان ومكان [(٥)]، وقال عنه ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم، والشهادة، والمفتي أحوج شيء إليه وتأمله والتفقه فيه [(٦)]، كما تولى الولاية في عهد عثمان واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضاً، ولما قتل عثمان كان والياً على الكوفة، ولما تولى علي ﷺ الخلافة، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة، إذ كان والياً عليها لعثمان بن عفان ﷺ، وحين استنفر الخليفة الكوفين من ذي قار رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هي فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة[(٧)].

إن حياة أبي موسى ﷺ، منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام وتعليم الناس العلم، وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصومات، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك أن هذه المهام صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم والفهم والفطنة، والحذق والورع

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٩).
(٢) الولاية على البلدان (١ / ١٢٠).
(٣) المصدر نفسه (١ / ١٢٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٩١)
(٥) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد و ص: (٢٦٢).
(٦) أعلام الموقعين (١ / ١٨٦).
(٧) فتح الباري (١٣ / ٥٣). ، التاريخ الصغير (١١ / ١٠٩).

والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصب وافر، فاعتمد عليه رسول الله ﷺ ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم [(١)] و فهل يتصور أن يثق رسول الله ﷺ، ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويها قصة التحكيم؟! [(٢)].

إن اختيار أبي موسى ﷺ حكماً عن أهل العراق من قبل علي ﷺ وأصحابه ينسجم تماماً مع الأحداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان في الوقت نفسه محبوباً، مؤتمنا من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن علياً هو الذي اختار أبا موسى الأشعري يقول خليفة في تاريخه: وفيها - سنة ٣٧هـ - اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري، من قبل علي، وعمرو بن العاص من قبل معاوية [(٣)]، ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكموا الحكمين، فحكم علي أبا موسى، وحكم معاوية عمرو بن العاص [(٤)]، ولهذا يمكن القول عن الدور المنسوب للقراء في صفين من مسئولية وقف القتال والتحكيم، وفرض أبي موسى حكماً ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعجهم أن يظهر علي ﷺ بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين، ومن جهة أخرى يحملون المسئولية لأعدائهم من الخوارج ويتخلصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا علياً على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم [(٥)].

إن هذه العجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا عن شخصية أمير المؤمنين علي وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره، وقد تعرضت للتشويه، وغالباً إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص للتشويه، والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة، فكان لزاماً علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الذكية، وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث.

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص: (٢٦٢ ٩.
(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ٢٢٧).
(٣) تاريخ خليفة ، ص (١٩١ ، ١٩٢٥).
(٤) الطبقات (٣ / ٣٢)
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢١٥).

ثانياً: سيرة عمرو بن العاص ﵁:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يكنى أبا محمد وأبا عبد الله، ويتفق ابن إسحاق [١] والزبير ابن بكار [٢] أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن حجر أنه أسلم سنة ثماني قبل الفتح، وقيل: بين الحديبية وخيبر [٣].

١ – إسلامه: نترك عمرو بن العاص ﵁ يحدثنا عن إسلامه، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب من الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خيراً، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم [٤]، فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو ابن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه و قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني أجزأت عنها [٥]، حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبا صديقي أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: نعم أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فاعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله؟ قال: قلت: أيها الملك أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق،

---

(١) المعجم الكبير للطبراني(٩ / ٥٣). أرسلها ابن إسحاق.

(٢) الإصابة (٣/ ٢) خلافة علي ، عبد الحميد ، ص (٢٦٣).

(٣) تهذيب التهذيب (٨ / ٥٦)

(٤) الأدم: الجلد.

(٥) أجزأت عنها: كفيتها.

وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت على أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة، فقلت أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم [١]، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم فحتى متى؟ فقال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله ﷺ إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر قال: فقال رسول الله ﷺ : **«يا عمر بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها»**، قال: فبايعته ثم انصرفت [٢].

وفي رواية قال:.... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: **«ما لك يا عمرو؟»** قال: قلت: أردت أن أشطرت. قال: **«تشترط بماذا؟»** قلت: أن يغفر لي. قال: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»** [٣].

٢ – عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل ٧ هـ:

جهز النبي ﷺ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قضاعة التي غرها ما حدث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة بن الجراح [٤]، وقاتل المسلمون الكفار، وتوغل عمرو في ديار قضاعة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين وإسلام الكثيرين من بني عبس، وبني مرة، وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس ابن مرداس، وبنو أشجع،

---

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.
(٢) صحيح السيرة النبوية ، ص (٤٩٤) ، سير أعلام النبلاء ٣٠ / ٦٠ ٩ ، والسيرة لابن هشام (٢ / ٢٧٦).
(٣) مسلم ، كتاب الإيمان رقم (١٢١).
(٤) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢ / ٤٧١) ، السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٢٨٠).

وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في البلاد جميعها[١]، وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ – إخلاص عمرو بن العاص:

يقول عمرو: بعث إلي رسول الله ﷺ فقال: **«خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم إئتني»** فأتيته وهو يتوضأ، فصعد في النظر ثم طأطأ، فقال: **«إني أريد أن أبعثك على جيش**[٢]، **فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة»**، قال، قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ. قال: **«يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح»** [٣]. فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ، وقد بين له رسول الله ﷺ أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح، لأنه يبتغي وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية وغيرها من وجوه البر، ويعف به نفسه وأسرته [٤]، ويغني به المسلمين، ونستنبط من الحديث أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي ﷺ، كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث فهو أيضاً مطلوب ومحمود، وهذا خير له وللإسلام والمسلمين.

ب – حرص عمرو على سلامة قواته: بعث رسول الله ﷺ عمراً في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحد نار، فلما قدم شكوه، قال: يا نبي الله، كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين، فأعجب ذلك رسول الله [٥].

جـ – من فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: **«يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟»**

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢ / ٤٣٣) ، السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٨٠).
(٢) جيش: سرية ذات السلاسل.
(٣) رواه بن حبان في الموارد (٢٢٧٧)، صحيح السيرة ص (١٠٨) صححه الألباني.
(٤) التاريخ الإسلامي للحميدي (٧ / ١٣٣)
(٥) سير أعلام النبلاء (٣ / ٦٦)

فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول:**{وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً}** [النساء: ٢٩]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً[١].

وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباطه الحكم من دليله [٢]، ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام، فإن الذي يستوقفنا [٣] منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادراً على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمضي على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو – وهذا احتمال وارد – على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكن أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام [٤].

٣ – فضائله ومناقبه:

أ – شهادة رسول الله ﷺ له بالإيمان: قال رسول الله ﷺ : **«أسلم الناس وآمن الناس عمرو بن العاص»** [٥]، وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ : **«إبنا العاص مؤمنان عمرو وهشام»** [٦]، وقال عمرو بن العاص فزع الناس بالمدينة مع النبي ﷺ فتفرقوا، فرأيت سالماً احتبى سيفاً فجلس في المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رسول الله ﷺ فرآني وسالماً، وأتى الناس فقال: **«أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم ما فعل هذان الرجلان؟»** [٧].

ب – تقديم رسول الله ﷺ له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحي قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحداً منذ

(١) المصدر نفسه (٣ / ٦٧) إسناده صحيح ، صححه ابن حبان رقم (٢٠٢).
(٢) غزوة الحديبية لأبي فارس ص (٢١٠).
(٣) معين السيرة ص (٣٨١) ، القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب معين السيرة.
(٤) المصدر نفسه ، ص (٣٨١) مسند أحمد (١ / ٢٠٣) رجاله رجال الصحيح.
(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٢٣٨) و رقم (١٥٥) وحسنه.
(٦) الطبقات (٤ / ١٩١) ، السلسلة الصحيحة (١ / ٢٤٠) رقم (١٥٦)
(٧) مسند أحمد (٢٠٣) بسند حسن.

أسلمنا في حرب [١]. وشهد لـه رسول الله ﷺ بأنه من صالحي قريش، فعن أبي مليكة قـال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: **«إن عمرو بن العاص من صالحي قريش»** [٢]. وهنا درس نبوي في معرفة النبي ﷺ لمعادن الرجال والاستفادة منها.

جـ – دعاء رسول الله ﷺ له: عن زهير بن قيس البلوي عن عمه علقمة بـن رمثة البلوي قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين ثم نعس رسـول الله ﷺ ثـم استيقظ فقال: **«رحم الله عمراً»**. فتذاكرنا من اسمه عمرو ثم نعس ثانيـة فاسـتيقظ فقـال: **«رحم الله عمراً»** ثم نعس ثالثة فاسـتيقظ فقـال: **«يرحم الله عمراً»**. قلنـا مـن عمـرو يـا رسول الله؟ قال: **«عمرو بن العاص»** قلنـا: ومـا بالـه؟ قـال: **«ذكرته إني كنت إذ ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله لخيراً كثيراً»**. قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت أتبـع هذا، قال فيه رسول الله ما قال، فلم أفارقه [٣].

٤ – أعماله في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ:

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عمراً إلى دعوة ابني الجلندي (جيفر، وعبـاد) إلى الإسـلام ودعاهما إلى الإسلام وصدقا بالنبي ﷺ وخليا بين عمـرو وبـين الصـدقة والحكـم فيمـا بـين قومهم، وكان لـه عوناً على من خالفه [٤]، وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجه الصديق عمرو ابن العاص بجيش إلى فلسطين وكان الصديق خيره بين البقاء في عمله الذي أسـنده إليـه رسـول الله ﷺ وبين أن يختار لـه ما هو خير لـه في الدنيا والآخرة، إلا أن الذي هو فيه أحـب إليـه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامي بها والجمع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضها فارم به [٥]، فلما قدم المدينة أمره أبو بكـر ﷺ أن يخـرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس.. ثم أرسله بجـيش إلى الشـام [٦]. وفي معركـة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كـبير في انتصـار المسـلمين، وبعـد وفـاة الصديق استمر عمرو في الشام وكانت لـه مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشـام،

---

(١) سنن البيهقي باب إسلام عمرو بن العاص (٤ / ٤٣).
(٢) سنن الترمذي كتاب المناقب ، باب مناقب عمرو بن العاص رقم (٣٨٤٤).
(٣) المعجم الكبير (١٨ / ٥) المستدرك (٣ / ٤٥٥ ٩ صححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.
(٤) الطبقات (١ / ٢٦٢) جوامع السيرة لابن حزم ، ص (٢٤ ، ٢٩)
(٥) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء و ص (٥٥).
(٦) فتوح الشام للأسدي ، ص (٤٨ – ٥١).

فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين[1]، كما قام ﷺ بفتح غزة واللد، ويبنى، وعمواس، وبيت جبرين ويافا ورفح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمرو ﷺ على فتح بلاد الشام وحدها بل شمل أيضاً مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب ﷺ أصدر أمره إلى عمرو بن العاص ﷺ بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر فخرج ﷺ حتى وصل إلى العريش ففتحها و كما شملت حركة الفتح أيضاً الفرما، والفسطاط، وحصن بابليون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخمين، والبشرود، وتنيس، ودمياط، وتونه، ودقهلة، والإسكندرية، وبلاداً إفريقية مثل برقة وزويلة وطرابلس[2]، وقد شهد له الفاروق بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً [3]. وكان في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة ومن أهل مشورته، ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله [4]، وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان ﷺ وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب قال عمرو بن العاص: رحم الله عثمان ﷺ وغفر له، فقال سلامة بن ذنباع الجزامي: يا معشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذا كسر الباب، فقال عمرو وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف [5]، تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فيا لهف نفسي على مالك	:::	**وهل يصرف مالك حفظ القدر**
أنزع من الحر [6] أودى ربهم	:::	فأعذرهم أم بقومي سكر

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه أنعي الحياء والدين حتى قدم دمشق [7].

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥) ، الكامل لابن الأثير (٢ / ٤٩٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٧٠) ، القيادة العسكرية في عهد الرسول ص (٦٣٤ – ٩٤٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ٧٠).
(٤) تاريخ الطبري نقلا عن عمرو بن العاص للغضبان ، ص: (٤٦٤).
(٥) أشاف: جمع أشفى وهو المثقب.
(٦) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة.
(٧) تاريخ الطبري نقلا عن عمرو بن العاص ، ص: (٤٦٤).

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب [(١)]، وقد تأثرت بالروايات الضعيفة السقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب [(٢)]، وعبد الخالق سيد أبو رابية [(٣)]، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويتخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما:... انتهازيان صاحبا مصالح. ولو اجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئاً، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة:.. وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده، ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل إلى كل منهما ولولاه لما كان بينهما اتفاق [(٤)].

إن شخصية عمرو الحقيقية أنه رجل مبادئ، غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاءاً مراً حين قتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان من غير ولاية، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما، يتعاونان معاً على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد [(٥)]، لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لابد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرأوا على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمراً همه السلطة والحكم[(٦)].

---

(١) عمرو بن العاص للغضبان ، ص (٤٨١).
(٢) سفراء النبي ص. محمود شيت خطاب ، ص (٥٠٨).
(٣) عمرو بن العاص ، عبد الخالق أبو رابية ص (٣١٦).
(٤) للعقاد ص (٢٣١ ، ٢٣٢).
(٥) عمرو بن العاص للغضبان ص (٤٨٩ ، ٤٩٠).
(٦) عمرو بن العاص للغضبان ص (٤٩٢).

ثالثاً: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٢- قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

٣- إنا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نحيى ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

٤- وإن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظرا وحاكماً.

٥- على أن علياً ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إماماً ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجدا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يعتمدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهة.

٦- وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

٧- وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، ما لم يعدوا الحق، رضي به راض أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

٨- فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

٩- وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

١٠- وقدوقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

١١- وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى بالله شهيداً، فإن خالفا وتعديا فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

١٢- والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

١٣- وللحكمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق والشام.

١٤- ولا يحضرهما فيه إلا من أحبا عن تراض منهما.

١٥- والأجل إلى انقضاء شهر رمضان فإن رأي الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخراها.

١٦- فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهما الأول في الحرب.

١٧- وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعاً يد واحدة على ما أراد في هذا الأمر إلحاداً أو ظلماً أو خلافاً.

وشهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين، ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن قيس الهمداني، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب بن الأرت وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية الكندي، ومالك بن كعب الهمداني وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبه بن حجية، ومن أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطأة القرشي، ومعاوية بن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسي، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن ابجر العبثي، ومسروق بن جبلة العكي، ويسر بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر القرشي، وعتبه بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، مسعده بن عمرو العتبي، والصباح بن

جلهمة الحميري، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وتهامه بن حوشب وعلقمة بن حكم، كتب يوم الأربعاء لثلاث عشر ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين [١].

رابعاً: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل في سياقها ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها، وقلما تجد أحد وقف عندها فاحصاً مدققاً، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجملاً وإن كان غير مفصل، وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ أن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي باطلة من عدة وجوه [٢].

١ - أن جميع طرقها ضعيفة: وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلاً قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفع ما رفع القرآن، ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح، فلما انصرف علي خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فآذنوه بالحرب، وردوا عليه: أن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل، وقالوا: لا حكم إلا حكم الله سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح، وافاهم المغيرة بن شهبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهما في رجال كثير، ووافى معاوية بأهل الشام، وأبى علي وأهل العراق أن يوافقوا فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما، فدخل عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة، فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين

(١) انظر: الوثائق السياسية، ص (٥٣٧، ٥٣٨)، الأخبار الطوال للدينوري، ص (١٩٦ - ١٩٩) وأنساب الأشراف (١ / ٣٨٢)، تاريخ الطبري (٥ / ٦٦٥ - ٦٦٦)، البداية والنهاية (٧ / ٢٧٦ - ٢٧٧).

(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٤).

لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة، قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له ما قال لعمرو فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأياً، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقى الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أأنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك على أن أتابعك وإلا فلي عليك أن تتابعني، قال أبو موسى: أسمي لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتى استبا، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو ومثل الذين قال الله عز وجل:**{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا}** [الأعراف: ١٧٥].

فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل:**{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً}** [الجمعة: ٥]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار [١].

والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة [٢]، كما قرر العلماء. وهناك طرق أخرى أخرجها ابن عساكر بسنده إلى الزهري وهي مرسلة وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يضع الحديث [٣]، وفي سنده أيضاً الواقدي وهو متروك [٤]، وهذا نصها:.. رفع أهل الشام المصاحف وقالوا ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا على أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكمين ينظران في أمور الناس فيرضون بحكمهما، فحكم علي أبي موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق

---

(١) المصنف (٥ / ٤٦٣) ، مرويات تاريخ الطبري ، ص (٤٠٦).
(٢) المراسيل لأبي حاتم ، ص (٣) الجرح والتعديل ، ص (١ / ٢٤٦).
(٣) تهذيب التهذيب (١٢ / ٢٧) ، مرويات تاريخ الطبري ، ص ٤٠٦).
(٤) مرويات تاريخ الطبري ، ص ٤٠٦).

الناس، فرجع علي إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كانوا معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه. ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبا موسى فتكلم وخلع علي ومعاوية ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع علياً وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين [١].

وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى، ضعيف ليس بثقة [٢]، وإخباري تالف غالي في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان [٣] ضعيفاً، وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيى القطان يضعفه [٤]، وقال عثمان الدارمي: ضعيف [٥]، وقال النسائي: ضعيف [٦].

هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفمثل هذا تقوم به حجة؟ أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة، ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطرابات في متونها لكفاها ضعفاً فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها [٧].

٢ – أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال ان يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها [٨].

٣ – وردت رواية تنقض تلك الروايات تماماً: وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه المختصر بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولاً، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بغلني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله

---

(١) تاريخ دمشق (١٦ / ٥٣).
(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ٢٢٣).
(٣) مرويات أبي مخنف ، ص (٤٠٧).
(٤) التاريخ الكبير (٤ / ٢ / ٢٦٧) ، الجرح والتعديل (٩ / ١٣٨).
(٥) التاريخ للدرامي ، ص (٢٣٨) ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ٢٢٣).
(٦) الضعفاء والمتروكون ، ص (٢٥٣)
(٧) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص (٤٠٨).
(٨) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص (٤٠٨).

عن الأمر الذي اجتمع عمرو، أبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت لـه: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه من النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض قال: فقلت: أيـن تجعلـني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغني عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما [١].

وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكره سيرة أبـي بكـر وعمـر، وخوفه من الأحداث بعدهما، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لإن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما، لقد غبنـا وأخطـآ أو نقـص رأيهمـا، والله مـا كانـا مغبونين ولا مخطئين ولا ناقصي الرأي، ووالله ما جاءنا الوهن والضعف إلا من قبلنا [٢].

٤ – إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منه: فلـم ينازعـه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند صحيح [٣] عن أبي موسى الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة، أو أنت مثله؟ قـال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطالب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا لـه يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم لـــه، فـأتوا عليـاً فكلموه فلم يدفعهم إليه [٤]. فهذا هو أصل النزاع بـين علـي ومعاويـة، رضـى الله عنهمـا، فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزلـه [٥]، ويقول ابن حزم في هذا الصدد بأن عليا قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامـره في جميـع أرض الشـام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاويـة قـط فضـل علـي واسـتحقاقه الخلافـة، لكـن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمـان علـى البيعـة، ورأى نفسـه أحـق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبـي العـاص لسـنه وقوتـه على الطلب بذلك، وأصاب في هذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعـة فقـط [٦]، وفهـم الخلاف على هذه الصورة – وهى صـورته الحقيقيـة – بـين إلى أي مـدى تخطـئ الروايـات

(١) التاريخ الكبير (٥ / ٣٩٨).
(٢) العواصم من القواصم ، ص (١٧٨ – ١٨٠).
(٣) فتح الباري (١٣ / ٨٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣ / ١٤٠).
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص (٤٠٩).
(٦) الفصل في الملل والنحل (٤ / ١٦٠).

السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كانا مفوضين في الحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان وليس هذا من أمر الخلافة في شيء فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قرارا في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة فمعنى ذلك أنهما لم يفضا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جداً [١].

٥ – إن الشروط التي يجب توافرها فى الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون قرشياً [٢]، وقد توافرت هذه الشروط في علي ﷺ، فهل بيعته منعقدةأم لا؟ فإن كانت منعقدة – ولا شك في ذلك – وقد بايعه المهاجرون والأنصار، أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك، فقول معاوية السابق يدل عليه بأن (الإمام إذا لم يخلِ عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامه أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة، فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله، من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صح لمنصب الإمام معنى) [٣].

وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات، كل من لم يرض بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد، وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي ﷺ فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مات ﷺ شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل والجد والبر والتقوى والخير [٤].

٦ – إن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة: وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة، لا شك أن الأحوال ستزداد سوءا،

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ٢٢٥).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ، الأحكام السلطانية لأبي يعلي ، ص (٢٠) ، غياث الأمم ، ص (٧٩) ، وما بعدها.

(٣) غياث الأمم ، ص (١٢٨) ، مرويات أبي مخنف ، ص (٤١٠).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ٢٣٨).

والصحابة الكرام أحذق واعقل من أن يقدموا على هذا؟ ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلا.

٧ – إن عمر بن الخطاب ﷺ حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك فكان ذلك إذناً في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره (١).

٨ – أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم، فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعبد بن عبد العزيز التنوخي (٢)، أعلم الناس بأمر الشام (٣) أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين (٤)، فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي، وإلى هذا ذهب الطبري فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء (٥)، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع (٦)، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئاً لعلي بالخلافة ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة ومعروفة، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم (٧)، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري

---

(١) مرويات أبي مخنف ، ص (٤١١).
(٢) سعيد بن عبد العزيز التنوخي ثقة إمام ، التقريب.
(٣) تهذيب التهذيب (٤ / ٦٠).
(٤) تاريخ الطبري (٦ / ٧٦).
(٥) تاريخ الطبري (٦ / ٧٦).
(٦) البداية والنهاية (٨ / ١٦).
(٧) الفتاوى (٣٥ / ٧٣).

قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»** [١]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة [٢].

ومن المحال ان يطبق الصحابة على مخالفة ذلك [٣].

٩ – أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن الحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب حفظت وعصمت[٤]، هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه.

وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده، ويرى ابن حجر أنها في التحكيم [٥]: دلالة النص على القولين الأولين اقوى. فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم.. دليل على اجتماع الكلمة على معاوية وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف [٦].

١٠ – حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة وإلى أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعياً للخلافة، ولا منكراص حق علي فيها، كم تقرر سابقاً، وإنما كان ممتنعا عن بيعته، وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلباً عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدا من طاعة الناس له بعد أن بقي واليا فيها زهاء عشرين سنة [٧]، وقد قال

---

(١) صحيح مسلم (٣ / ١٤٨٠).
(٢) سنن البهيقي (٨ / ١٤٤).
(٣) مرويات أبي مخنف ، ص (٤١٢).
(٤) البخاري (٥ / ٤٨).
(٥) فتح الباري (٧ / ٤٦٦).
(٦) مرويات أبي مخنف.
(٧) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ١٣٤).

ابن دحية الكلبي في كتابه (أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين): قال أبو بكر محمد الطيب الأشعري الباقلاني - في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلع - علي بن أبي طالب - وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطا في الموافقة بينهما أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونص كتاب علي - عليه السلام - اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته لا يجوازان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما.. والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده في جهاد المشركين وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة [1].

١١ - مكان انعقاد المؤتمر: كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين - كما جاء في الوثيقة - في رمضان في عام سبعة وثلاثين هجرية، إذا لم تحدث عوائق في موضع وسط بين العراق والشام وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل [2]، في روايات موثقة، وأذرح [3]، في روايات أخرى دونها في الإتقان، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثرا في اختلاف الروايات، إذ يقول خليفة ابن خياط [4]: ويقال بأذرح وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق [5].

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح، فاستدل على ذلك ببعض روايات لم يبينها وبالأشعار، وبخاصة شعر ذي الرمة [6] في مدح بلال بن أبي بردة [7] وهو قوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ::: تشاءوا وبيت الدين منقلع الكسر

---

(١) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين ، ص (١٧٧).

(٢) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.

(٣) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء.

(٤) تاريخ خليفة ، ص (١٩١ ، ١٩٢).

(٥) خلافة علي بن ابي طالب ، عبد الحميد ، ص (٢٦٧).

(٦) ذو الرمة ، غيلان بن عقبة توفي ١١٧ هـ ، سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٦٧)

(٧) بلال بن أبي بردة ، عامر ابن أبي موسى الأشعري ، تهذيب تاريخ دمشق (٣ / ٣٢١)

فشـــد إصـــار الـــدين أيـــام أذرح ::: ورد حروبـاً قـد لقحـن إلـى عقـر [(١)]

١٢ – هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟ اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته وأفضل هؤلاء سعد بن أبي وقاص ﷺ، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا هم به [(٢)]. فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما أتاه قال: يا أبة، أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي»** [(٣)].

خامساً: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعا مسئولياتهم ومن ورائهم الأمة الإسلامية التي يحكمونها في الضغط الجاد الصادق، على الطرفين المتنازعين، لكي يوقفا بينهما القتال، ويلجآ للتحكيم الشرعي في الإسلام فيرسل هذا الطرف حكماً من قبله، وذلك حكماً آخر من قبله أيضاً، للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

١ – تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لابد منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

٢ – جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والحلول التي تفصل في مسائل النزاع.

٣ – أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد

---

(١) ديوان ذي الرمة ص (٣٦١ ، ٣٦٢) نقلا عن خلافة على ص (٢٧٢).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص (٢٧٢).

(٣) المسند (١ / ١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣ / ٢٦) ، خلافة علي بن أبي طالب للسلمي ، ص (١٠٧)

الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الراهن على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضا بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعاً.

٤ – إذا أصدر الحكمان ما اتفقا عليه من أحكام، وحلول وانقاد لها الطرفان المتنازعان قضي الأمر وكفى الله المؤمنين القتال.

٥ – إذا رفض أحد الطرفين أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكمين، اعتبر الطرف الرافض هو الطرف الباغي، سواء صدر الرفض من أحدهما أو من كليهما، ووجب شرعاً على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية، من أجل التدخل لحل النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم.

٦ – ويكون من صلاحيات الحكمين بالاتفاق إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه[١].

ولعل اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار كفيل بسد الطريق على أية قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين بحجة أن بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل.. ومن ثم تستغل هذه الفرصة لكي تتآمر على المسلمين فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحل الذي يحلو لها، ويكون فيه مصلحتها فقط، وليعاني المسلمون بعد إذن من آثار ذلك الحل أسوأ مما كانوا يعانون من فتنة النزاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهمها في شيء، لا، بل إن هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحل المشئوم، قلنا لعل اللجوء إلى التحكيم على نحو ما سلف بيانه يسد الطريق في وجه تلك القوى الخارجية التي تبغي في صفوف المسلمين الفساد، هذا وإن الصفة الإلزامية شرعاً للحل عن طريق التحكيم الذي عرضناه تستند إلى إجماع الصحابة فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر وغيرهما رضي

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/ ١٦٦٥)

الله عنهم أجمعين[١].

سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام ﷺ هو الإمساك عما شجر بينهم إلا في ما يليق بهم لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويرضى عنهم ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ غير أن صواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال بما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي [٢]:

١ – قال تعالى:{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩]

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله – عز وجل – مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانا حقيقيا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد [٣].

٢ – عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»** [٤]، والفرقة المشار إليها في الحديث هي

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣ / ١٦٦٥)

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢ / ٧٢٧) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان ، ص (٤١)

(٣) العواصم من القواصم و ص (١٦٩ ، ١٧٠) أحكام القرآن(٤ / ١٧١٧).

(٤) مسلم (٧٤٥)

ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقد وصف ﷺ الطائفتين نعم بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدا وهو مأجور إن شاء الله، ولكن عليا هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: **«إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»** (١).

٣ – وعن أبي بكرة قال: بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: **«ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»** (٢) ففي هذا الحديث شهادة النبي ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا عليا ومن معه، ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله فئتين من المسلمين يعجبنا جدا، قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهم جميعاً مسلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان (٣). فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان قد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته (٤)، كما وصفهم بأنهم جميعا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى،**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}** [الحجرات: ٩] وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم رضي الله عنهم أجمعين، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متأولون، وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا.

فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عن ما حصل بينهم رضي الله عنهم، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق

---

(١) البخاري مع شرحه في فتح الباري (١٣ / ٣١٨)

(٢) البخاري ، كتاب الفتن رقم (٧١٠٩).

(٣) الاعتقاد للبيهقي ص (١٩٨) وفتح الباري (١٣ / ٦٦).

(٤) في صحيح مسلم (٢ / ٧٤٦) تكون في أمتي فرقتان.

بمقامهم، وكتب أهل السنة، مليئة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها[١]:

١ – سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني، مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ودواء العيون ترك مسها [٢]، قال البيهقي معلقا على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لايعنيه هو الصواب [٣].

٢ – سئل الحسن البصري عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا واختلفوا فوقفنا [٤]، ومعنى قول الحسن هذا أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل إذ كانوا غير متهمين في الدين[٥].

٣ – سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله:**{عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى}** [٦] [طه: ٥٢].

قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى [٧]، وعن إبراهيم بن آزر الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ**{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [البقرة: ١٤١].

٤ – وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢ / ٧٤٦) تكون في أمتي فرقتان
(٢) الإنصاف للباقلاني ، ص (٦٩) ، الطبقات (٥ / ٣٩٤)
(٣) مناقب الشافعي ص (١٣٦)
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ٣٣٢).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ٣٣٢).
(٦) الإنصاف للباقلاني ، ص (٦)
(٧) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ص (١٦٤).

أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به فقال: وألا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب [(١)].

٥ – وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والعقيدة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم [(٢)].

٦ – قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان ونعتقد أن عليا عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون والدليل عليه قوله تعالى:**{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}** [الفتح: ١٨]، وقوله ﷺ : **«إذ اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»** فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟! ويدل على صحة هذا القول قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه: **«إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»** [(٣)]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لها بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى:**{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ}** [الحجر: ٤٧] إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه [(٤)].

٧ – وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في

---

(١) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني ص (٢٣).

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، ص (٢٦٨).

(٣) البخاري ، الفتن ، رقم (٧١٠٩)

(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ص (٦٧ ، ٦٩)

مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون [١].

٨ – **وقال ابن كثير**: أما ما شجر بينهم بعده عليه ﷺ : فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضا وأما المصيب فله اجران [٢].

٩ – **وقال ابن حجر**: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف الحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا، وأن المصيب يؤجر أجرين [٣].

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم [٤].

سابعاً: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

١ - الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه "الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي" مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبا وزورا ومن هذه الأدلة:

– إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابا في التاريخ يدعى "الإمامة والسياسة" ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب "المعارف".

– إن المتصفح للكتاب يشعر بأن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

– إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف في "الإمامة والسياسة" يختلف تماما عن

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٧ ، ٦٩)
(٢) الباعث الحثيث، ص (١٨٢).
(٣) فتح الباري (١٣ / ٣٤).
(٤) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٤٠)

منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فابن قتيبة يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب الإمامة والسياسة فمقدمته قصيرة جدا لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة ١٤٨ هـ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمس وستين عاما.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

إن قسماً كبيرا من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرا ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة، ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات أسلوب ابن قتيبة ولم ترد في كتاب من كتبه.

- إن مؤلف "الإمامة والسياسة" يروي عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر و لا أخذ عن هذين العالمين[1].

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: إن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة [2]، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب " الإمامة والسياسة " الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم [3]؟!

يقول الدكتور علي نفيع العلياني في كتابه، عقيدة الإمام ابن قتيبة عن كتاب الإمامة والسياسة: وبعد قراءتي لكتاب الإمامة والسياسة قراءة فاحصة ترجح عندي أن مؤلف

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة ، علي العلياني ص (٩٠).

(٢) لسان الميزان (٣ / ٣٥٧) وتحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٤٤)

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٤٤).

الإمامة والسياسة رافضي خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابـن قتيبـة نظـراً لكثرتهـا ونظرا لكونه معروفا عن الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضة المغرب، فابن قتيبة لـه سمعة حسنة في المغرب [١]، ومما يرجح أن مؤلف الإمامة والسياسة من الروافض ما يلي:

*إن مؤلف الإمامة والسياسة ذكر على لسان علي ﷺ أنه قال للمهاجرين: الله الله يـا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عـن داره وقعـر بيتـه إلى دوركـم وقعـر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم... والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله [٢]، ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

*إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحاً عظيماً فصور ابن عمـر ﷺ جبانا وسعد بن أبي وقاص حسودا، وذكر محمد بن مسلمة غضب على علـي بـن أبـي طالب لأنه قتل مرحباً اليهودي بخيبر، وأن عائشة رضي الله عنها أمـرت بقتـل عثمـان [٣]،، والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج، إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة [٤]

*إن مؤلف الإمامة والسياسة يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبـل مصـعب بـن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله ﷺ ولم يذكر خرافاته وادعاءه الوحي [٥]، والرافضـة هـم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين، مع العلم أن ابـن أبـي قتيبـة ذكر المختار من الخارجين على السلطان وبين أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه [٦].

* إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمـر وعثمـان خمساً وعشرين صفحة فقط وكتب عن الفتنة التي وقعت بـين الصـحابة مـائتي صـفحة فقـام المؤلف باختصار التاريخ الناصع والمشرق وسود الصحائف بتـاريخ زائـف لم يثبـت منـه إلا

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (١٧ / ٣٩١).
(٢) الإمامة والسياسة (٢ / ٢١).
(٣) الإمامة والسياسة (١ / ٥٤ ، ٥٥).
(٤) عقيدة الإمام ابن قتيبة ، ص (٩١) للعلياني
(٥) الإمامة والسياسة (٢ / ٢٠).
(٦) المعارف ، ص (٤٠١)

القليل وهذه من أخلاق الروافض المعهوده، نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

*يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الإثنى عشرية: ومن مكايدهم - يعني الرافضة - أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوه رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته، كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والسدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال، وعبد الله بن قتيبة رافضي غال، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتابا سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتابا سماه بالمعارف أيضا قصدا للإضلال [(١)].

وهذا مما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء [(٢)] والله أعلم.

٢ - نهج البلاغة:

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة، فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف قرن بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصا فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم - عند المحدثين - فهو أخوه علي [(٣)]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

- **قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضي**: وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم[(٤)].

- **وقال الذهبي**: من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي ﷺ ففيه السب الصراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر ﷺ وفيه من التناقض والأشياء

(١) مختصر التحفة الإثنا عشرية للألوسي ص (٣٢).
(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة ، ص (٩٣).
(٣) الأدب الإسلامي ، نايف معروف ، ص (٥٣).
(٤) الوفيات (٣ / ٢٣).

الركيكة والعبارات التي من لـه معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممـن بعـدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل [١]

– **وقال ابن تيمية:** وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هـذا الكتـاب مفـتراة علـى علي ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف [٢].

– **وأما ابن حجر:** فيتهم الشريف المرتضي بوضعه، ويقول: ومن طالعـه جـزم بأنـه مكذوب على أمير المؤمنين علي: وأكثره باطل [٣].

– واستنادا إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد مـن البـاحثين الموضـوع فقـالوا بعـدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي ﷺ [٤].

ويمكـن تلخيص أهـم مـا لاحظـه القـدامى والمحـدثون علـى " نهـج البلاغـة " للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

* خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه، متنا ورواية وسنداً.

* كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعـذر حفظـه وضـبطه قبـل عصر التدوين مع أن خطب الرسول ﷺ لم تصل إلينا سالمه وكامله مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

* رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي ﷺ وصـاحب النهج يثبتها لـه.

* اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة "الشقشقية" الـتي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شهر عنه عن التقشف والزهد.

*شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من العلماء أن هـذه الكثـرة لا تتفـق مـع البعـد عـن التكلف الذي عرف به عصر الإمام علي ﷺ، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكـن بعيـدا عن روحه ومبناه.

---

(١) ميزان الاعتدال (٣ / ١٢٤)

(٢) منهاج السنة (٤ / ٢٤).

(٣) لسان الميزان (٤ / ٢٢٣).

(٤) الأدب الإسلامي ، نايف معروف ، ص (٥٣)

* الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وشي العصر العباسي وزخرفه و ما نجده في وصف الطاووس والخفاش، والنحل والنمل والزرع والسحاب وأمثالها.

* الصيغ الفلسفية الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين (١).

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه.

٣ - كتاب الأغاني للأصفهاني:

يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ فليس معنى ذلك أن يسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس والكذب الفاضح والطعن والمعايب، وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سماه السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني، فقد شمر - جزاه الله خيرا - عن ساعد الجد - ليميز الهزل من الجد، والسم من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد وهي تغلي في الصدور كغلي القدور، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف وتجرح صورتهم وتشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات، وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي الكبير وليد الأعظمي في كتابه القيم "الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل (٢).

---

(١) الأدب الإسلامي ، ص (٥٤ ، ٥٥).

(٢) السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي ص (٩ / ١٤).

ولقد تحدث العلماء فيه قديما:

– **قال الخطيب البغدادي:** كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس كان يشتري شيئا كثيرا من الصحف ثم تكون كل روايته منها [١].

– **قال ابن الجوزي:** ومثله لا يوثق بروايته، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل شيء قبيح ومنكر [٢]. قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يضعفه، ويتهمه في نقله ويستهول ما يأتي به [٣].

٤ - تاريخ اليعقوبي: ت ٢٩٠هـ:

هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي من أهل بغداد، مؤرخ شيعي إمامي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي، وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية، فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويسمى علي بالوصي، وعندما أرخ لخلافة أبي بكر وعمروعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافة وإنما قال تولى الأمر فلان، ثم لم يترك واحدا منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة، فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها، أخبارا [٤] سيئة، وكذلك عن خالد بن الوليد [٥]، وعمرو بن العاص [٦]، ومعاوية بن أبي سفيان [٧]، وعرض خبر الثقيفة عرضا مشينا [٨]، ادعى فيه أنه حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره وطريقته في سياق الاتهامات الباطلة هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض وهي إما اختلاق الخبر بالكلية [٩] أو التزيد في الخبر [١]، والإضافة عليه أو عرضه

---

(١) تاريخ بغداد (١١ / ٣٩٨).
(٢) المنتظم (٧ / ٤٠ ، ٤١).
(٣) ميزان الاعتدال (٣ / ١٢٣).
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٨٠ – ١٨٣).
(٥) المصدر نفسه (٢ / ١٣١)
(٦) المصدر نفسه (٢ / ١٢٢)
(٧) المصدر نفسه (٢ / ٢٣٢ – ٢٣٨)
(٨) المصدر نفسه (٢ / ١٢٣ – ١٢٦)
(٩) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص (٤٣١).

في غير سياقه ومحله حتى ينحرف معناه، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه البلدان باسم الدولة المباركة [٢]، مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية، وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابة التاريخ الإسلامي، وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي [٣].

٥- المسعودي (ت: ٣٤٥ هـ) كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر:

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ولد عبد الله بن مسعود ﷺ [٤]، وقيل إنه كان رجلا من أهل المغرب [٥] ولكن يرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها[٦]، وإن قصد ببلاد المغرب عكس الشرق فمصر من بلاد المغرب الإسلامي فلا إشكال [٧]، والمسعودي رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعيا معتزليا[٨]، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار، فقد رأى الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص[٩] وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب ﷺ في كتابه مروج الذهب اهتماما كبيرا أكثر من اهتمامه بحياة رسول الله ﷺ في الكتاب المذكور [١٠]، وركز اهتمامه بالبيت العلوي وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه مروج الذهب[١١]، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص (٤٣١).
(٢) كتاب البلدان لليعقوبي ص (٤٣٢).
(٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص (٤٣٢).
(٤) الفهرست لابن النديم ، ص (١٧١) سير أعلام النبلاء.
(٥) الفهرست ، ص (١١٧).
(٦) معجم الأدباء (١٣ / ٩١ – ٩٣).
(٧) منهج المسعودي في كتابة التاريخ ص (٤٤) ، أثر التشيع ، ص (٢٤٣).
(٨) لسان الميزان (٤ / ٢٢٥) ، أثر التشيع ، ص (٢٤٦).
(٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر (١ / ٣٨).
(١٠) أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص (٢٤٨).
(١١) أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص (٢٤٨).

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها، والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين (الفتنة الكبرى: علي وبنوه)، والعقاد في العبقريات فقد تورطا في الروايات الموضوعه والضعيفة وقامت تحليلاتهما عليها وبالتالي لم يحالفهما الصواب، ووقعا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة ﷺ، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه (الخلفاء الراشدين) حيث نقل نصوصا من روايات الرافضة من كتاب (الإمامة والسياسة)، وحسن إبراهيم حسن في كتابه (عمرو بن العاص)حيث قرر من خلال الروايات الرافضية الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل مصالح ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا [١]، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامناً: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثرا في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طوائفها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهورا ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي ومنهج فكري - منحرف - وهم أكثر الطوائف كذبا على خصومهم كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة كما سيأتي معنا - فسب الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدهم وأركانه، خاصة الشيخين أبا بكر وعمر ويسمونهما الجبت والطاغوت [٢]، وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة، أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل وهو ميزان التقوى**{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [الحجرات: ١٣].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة وانحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب فنشروا بين أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة عن الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام مما يسيء

(١) تاريخ عمرو بن العاص ، حسن إبراهيم ، ص (٢٠٦ ، ٢٠٧).
(٢) الشيعة والسنة ، ص (٣٢) إحسان إلهي ظهير.

لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم، وقدكان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين بجهد في نقد الرواة والمرويات فبينوا الزائف من الصحيح ودافعوا عند عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها جهد كبير وموفق، من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيف الروايات المكذوبة القاضي ابن العربي في كتاب "العواصم من القواصم" والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله خاصة كتابه القيم "منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية"، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب "سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام وميزان الاعتدال في نقد الرجال"، وكذلك الحافظ بن كثير المفسر المؤرخ في كتابه "البداية والنهاية"، وأيضا الحافظ بن حجر العسقلاني في كتابه "فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان، وتهذيب التهذيب، والإصابة في معرفة الصحابة".

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهي كثيرة ونذكر منها:

* الاختلاق والكذب.

* الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.

* وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.

* إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق المستقيمة.

* صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة لأن الشعرالعربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت الرافضة كتاب "الإمامة والسياسة" الذي نسبته إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به كما مر معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمنصرين إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية - فوجدوا فيها ضالتهم

وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم - بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين - من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه أو التفسير الخاطئ تبعا للتصور والاعتقاد الذي يدينون به ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث وأفكارهم وتصوراتهم في البحث والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين فكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال، وذلك أنهم ادعوا - كأساتذتهم - اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث والحقيقة أن غالبهم لم يجرد إلا من عقيدته و أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه [(١)]، فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية مثل الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم [(٢)]، يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهن بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر التجرد عن كل آصرة بماضي العروبة والإسلام جريا وراء المستشرقين في ارتيابهم حيث تحس الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم الدلائل عليه[(٣)].

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي:

أ - التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه وحسب ما يجول بخواطرهم، دون أن يحققوا أولا الواقعة التاريخية حتى تثبت ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، محمد صامل ، ص (٥٠٢).

(٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، محمد صامل ، ص (٥٠٢).

(٣) المصادر الأولى لتاريخنا ، مجلة الأزهر سنة ١٣٧٤ هـ.

وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة لابد من ثبوت وقوعها وليس وجودها في كتاب من الكتب كافيا لثبوتها [(١)]، لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث لتفسير الواقعة التاريخية كما ينبغي أن يكون التفسير متمشياً مع منطوق الخبر التاريخي، وموضوع البحث، ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة، كما يشترط ألا يكون هذا التفسير متعارضا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابته، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد - كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة - وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحديث وخاصة العوامل العقيدية الفكرية. ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهادا بشريا يحتمل الصواب والخطأ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها، كالقرامطة والإسماعيلية، والرافضة الإمامية والفاطمية، والزنج وإخوان الصفا والخوارج كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة، وثورتهم كانت ثورات لإصلاح الظلم والجور، فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام، فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع، ليلا ونهارا، وسرا وجهارا ولا يتوقع من مطموسي الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال ولكن الأمر الذي قد يحدث استغرابا عند البعض أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق كتاب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء المسلمين ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بني جلدتهم ليصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقيم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة، فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب مع ما يجدون من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها، لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي - خاصة تاريخ الصدر الأول بالتشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة والتركيز عليه كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة ﷺ وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص (٥٠٤).

وبالتجهيل وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة وبالتشكيك وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة.

لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها، ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم ومناهجهم وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد فإذا كان علماؤنا - رحمهم الله - قد نقدوا كثيرا من الرواة وضعفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب ورواياتهم الإسرائيليات، فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح [(١)].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده و متبرئا من حولي وقوتي، فالله هو المتفضل وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفق، فله الحمد على ما من به علي أولا وآخرا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصا ولعباده نافعا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب، ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه، من دعائه فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة و إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقوله تعالى:**{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}** [النمل: ١٩]. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

علي محمد محمد الصلابي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

❊ ❊ ❊

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص (٥٠٧).

أهم المصادر والمراجع

١- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

٢- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، عرض ونقد د. ناصر بن عبد الله القفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة بمصر، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣- سنن سعيد بن منصور، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤- مسند الدارمي، لأبي محمد عبد الله الدارمي، دار المغني، الرياض، ١٤٢١ - ٢٠٠٠م.

٥- الموسوعة الحديثة، السنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٦- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

٧- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد أحمد الأنصاري القرطبي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩١ م.

٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبه الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون.

١٠- سورة الحجرات، د. ناصر العمر، دار الصديق، صنعاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ.

١١- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، عبدو الحاج محمد الحريري، رسالة مقدمة لجامعة بغداد.

١٢- الإمام علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطنيها العلماء من غير أهلها وواردیها، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠١م.

١٤- خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، عبد الحميد على ناصر فقيهي، رسالة علمية قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لم تطبع حتى الآن أشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري.

١٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي يوسف بن محمد بن عبد البر. تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

١٦- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دار الريان، ١٩٩٨ م

١٧- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، المدينة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٨- الصحيح المسند في فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوي، دار ابن عفان، السعودية، الخبر، الطبعة ألأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٩- دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينه، دار الفرقان، عمان.

٢٠- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٢١- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

٢٢- الموسوعة الحديثية. مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٣- الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، د. حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٩٩٥م بيروت لبنان.

٢٤- الطبقات لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٢٥- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٦- بيعة علي بن أبي طالب، أم مالك الخالدين، حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الثالثة، عمان.

٢٧- تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، محمد أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي.

٢٨- فتح الباري، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٢٩- المدينةالنبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد محمد حسن شراب، دار القلم - بيروت، الدراسات الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٠- تاريخ الطبري لأبي جعفر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣١- استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، دراسة نقدية د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤١٨هـ.

٣٢- سنن أبي داود، الإمام أبي داود، سليمان الجستاني، تحقيق وتعليق عزت الدعاس ١٣٩١هـ، سوريا.

٣٣- سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.

٣٤- سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر ١٣٩٨هـ.

٣٥- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الفكر بيروت.

٣٦- الإحسان في صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٣٧- السلسلة الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي.

٣٨- معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٩- السنة لعبد الله بن أحمد حنبل، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٠- شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن علي محمد الأذرعي، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩١هـ.

٤١- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر ١٩٩١م.

٤٢- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٤٣- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر الشريف الطبعة الأولى. ١٣٤٧هـ.

٤٤- مجموعة الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٥- المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، طبع الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بومباي الهند.

٤٦- المصنف لعبد الرازق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٤٧- العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد بن سعيد مبيض، دار الثقافة، قطر الدوحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٤٨- تحقيق مواقف الصحابة في الفتن من روايات الطبري والمحدثين، تأليف د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٩- الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية، ١٩٧٥م.

٥٠- المقدمة لابن خلدون.

٥١- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٥٢- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د. عبد الرحمن الشجاع، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار الفكر المعاصر - صنعاء.

٥٣- عبقرية الإمام، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية - بيروت.

٥٤- علي بن أبي طالب، خالد البيطار.

٥٥- علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٦- الأدب الإسلامي في عهد النبوة، نايف معروف، دار النفائس، بيروت، لبنان.

٥٧- المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي،

دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

٥٩- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٠- صحيح سنن ابن ماجة للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

٦١- صحيح النسائى للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٨هـ.

٦٢- مشكاة المصابيح للألباني.

٦٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم أحمد عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٤- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ - ١٩٩٩م.

٦٥- مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٣٦٨هـ.

٦٦- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، دار بيروت، لبنان.

٦٧- تاريخ الخلفاء للسيوطي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦٨- التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر، د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة ألولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٦٩- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني، المعروف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.

٧٠- صحيح التوثيق في سيرة علي بن أبي طالب، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٧١- الإمام علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٧٢- الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

٧٣- أصحاب الرسول، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة ألأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧٤- تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

٧٥- الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، مكتبة وهبة.

٧٦- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماس القاهرة.

٧٧- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النيسابوري بذيله التلخيص للذهبي، طبعة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، دار الفكر.

٧٨- نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٩- مسند بن يعلي، أحمد بن علي المثنى التميمي، تحقيق وتخريج حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق.

٨٠- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي.

٨١- المواعظ و الاعتبار، أحمد بن علي عبد القادر المقريزي، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ١٩٨٧م.

٨٢- الاعتصام للشاطبي، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعارف و بيروت ١٤٠٢هـ.

٨٣- السيرة النبوية، لابن هشام، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.

٨٤- عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.

٨٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٨٦- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م.

٨٧- بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض.

٨٨- ولاية الشرطة في الإسلام د. نمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٤هـ.

٨٩- تاريخ خليفة بن خياط وأبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، دار القلم، بيروت ١٣٩٧هـ.

٩٠- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩١- علي بن أبي طالب، د. علي شرفي، دار الكندي، إربد و الأردن، ٢٠٠١م.

٩٢- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز إبراهيم العامري.

٩٣- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافرالقاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩٤- تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، للإمام القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي، مطبوعات جامعة أم القرى.

٩٥- شرح منهج البلاغة لابن أبي الحديد و تحقيق حسن تميم و مكتبة الحياة وبيروت.

٩٦- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي و بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.

٩٧- معجم الطبراني، سليمان أحمد الطبراني، الدار العربية، بغداد ١٣٨٩هـ.

٩٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، عن طبعة حيدر أباد.

٩٩- الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف، د. حامد محمد الخليفة، مطابع الدوحة المدينة الرياضية عمان، الأردن، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٠- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق د علي نويهض، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

١٠١- تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث العربي و بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٠٢- الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود و تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د. كمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي، بغداد.

١٠٣- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري و يحيى إبراهيم يحيى، دار العاصمة الرياض و الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٠٤- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، وعلي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٥- منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد، مؤسسة قرطبة.

١٠٦- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم، مكة المكرمة، ١٣٩٣هـ.

١٠٧- فتنة مقتل عثمان بن عفان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ.

١٠٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف عبد الرحمن المزي و بشار عواد معروف و مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٠٩- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٢٧١هـ.

١١٠- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٢هـ.

١١١- تفسير التابعي، عرض ودراسة مقارنة، د. محمد عبد الله علي الخضيري، دار الوطن و الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

١١٢- الفتنة الكبرى - علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

١١٣- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه د. محمود يوسف زايد و دار الثقافة الدوحة، ١٩٨٥م.

١١٤- الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى، دار السلام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١١٥- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالماثور، د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١١٦- دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، سليمان العودة، رسالة نشرت على الإنترنت.

١١٧- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث.

١١٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمدالحنبلي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.

١١٩- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٢٠- البيان والتبيين للجاحظ و أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٢١- ميزان الاعتدال للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

١٢٢- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي، محمود ابراهيم زيد دار المعرفة، بيروت.

١٢٣- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٢٤- رجال الكشي، لأبي عمر محمد بن عبد العزيز الكشي، قدم له وعلق عليه أحمد السيد الحسينى.

١٢٥- عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة، لمحمد علي العلم.

١٢٦- الخوارج والشيعة، يوليوس فلها وزن.

١٢٧- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فولتن، ترجمة حسن ابراهيم حسن، ومحمد زكي ابراهيم، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١٢٨- العقية والشريعة الإسلامية، جولد تسيهر، أجناس ترجمة د. محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

١٢٩- تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، نيكلسون، رينولد، ترجمة صفاء خلوصي، بغداد، مطبعة المعارف ١٣٨٨ه ـ ١٩٦٩م.

١٣٠- عقائد الشيعة رونالد سن، دوايت (ع. م) القاهرة، مكتبة الخانجي.

١٣١- أصول الإسماعيلية، لويس برنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، بغداد مكتبة المثنى، ١٣١٧هـ - ١٩٤٧م.

١٣٢- عائشة والسياسية، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

١٣٣- الدولة الأموية، يوسف العشي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٣٤- أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، رسالة دكتوراه بفاس بالمغرب، لم تطبع.

١٣٥- التاريخ الكبير للبخاري، مؤسسة الثقافة، بيروت.

١٣٦- دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، أسماء محمد أحمد زيادة، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٣٧- الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

١٣٨- غياث الأمم في التياث الظلم لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

١٣٩- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة البخاري، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٤٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد ابراهيم البنا، مطبعة الشعب.

١٤١- تقريب التهذيب لابن حجر

١٤٢- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي و الحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني، دار الفكر للطباعة، بيروت الطبعة الثانية ١٤٥٠هـ.

١٤٣- الأنصار في العصر الراشدي سياسيا وعسكريا وفكريا، د. حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد، من صورة مصورة.

١٤٤- العثمانية للجاحظ، تحقيق عب السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

١٤٥- خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ بن كثير، محمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٨م

١٤٦- نسب قريش أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف، القاهرة.

١٤٧- التاريخ الصغير البخاري محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق محمود ابراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت.

١٤٨- أنساب الأشراف لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري

١٤٩- كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير، لبي حسن الماردي

١٥٠- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للحافظ أبي عبد الله محمد عثمان الذهبي، مكتبة دار البيان، حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب.

١٥١- سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني، دار الراية، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥٢- أهل الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله عنه، رياض العبد الله، دار الرشيد، بيروت دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٥٣- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني

١٥٤- دراسات تربوية في الأحاديث النبوية للأعظمي محمد لقمان الأعظمي الندوي، دار العبيكان، الطبعة ألولى ١٤١٧هـ. - ١٩٩٦م

١٥٥- الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية، البحرين.

١٥٦- فرسان في عصر النبوة، أحمد خليل جمعة، اليمامة، دمشق ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥٧- تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل عبد الله المصري، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥٨- معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد، منير الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٥٩- المعرفة والتاريخ، للفسوي، لأبي يؤسف الفسوي، تحقيق أكرم ضياء العمرى، مطبعة الإرشاد بغداد، ١٣٩٤هـ.

١٦٠- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين د. حمدي شاهين، دار القاهرة.

١٦١- تهذيب الأسماء واللغات: للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦٢- عمرو بن العاص الأمير المجاهد، د. منير الغضبان، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.

١٦٣- قصص لا تثبت، سليمان بن صالح الخراشي، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٦٤- أبو موسى الأشعري، الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز، دار القلم، دمشق.

١٦٥- أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق.

١٦٦- مناقب عمر لابن الجوزي.

١٦٧- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي، والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٦٨- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلى، دار النفائس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

١٦٩- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة.

١٧٠- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه، دار القلم، دمشق.

١٧١ – صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للألباني، دار الصميعي السعودية.

١٧٢ – غزوة الحديبية، لأبي فارس، دار الفرقان، الأردن.

١٧٣ – من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٧٤ – إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.

١٧٥ – فتوح الشام، محمد عبد الله الأرذي، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، نشر مؤسسة القاهرة ١٩٧٠.

١٧٦ – سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.

١٧٧ – عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٧٨ – عمرو بن العاص، عباس محمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.

١٧٩ – المراسيل، لابن أبي حاتم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

١٨٠ – التاريخ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.

١٨١ – الأحكام السلطانية، لأبي يعلى محمد بن الحسين تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٣هـ.

١٨٢ – الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٨٣ – الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ.

١٨٤ – مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: لجنة إحياء التراث، طبع دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

١٨٥ – مناقب الإمام ابن قتيبة، د. علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق، السعودية.

١٨٦ – المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الثالثة، دار المعارف مصر.

١٨٧ – مختصر التحفة الاثنى عشرية، للسيد محمود شكري الألوسي، مكتبة إيشيق -

استانبول تركيا، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٨٨- السيف اليماني في نحر الأصفهاني، وليد الأعظمي، دار الوفاء، مصر.

١٨٩- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل العلياني السلمي، دار طيبة، الرياض.

١٩٠- أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د. عبد العزيز محمد نور ولي دار الخضيري، المدينة النبوية، الطبعة ألولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٩١- منهج المسعودي في كتابة التاريخ، سليمان بن عبد الله المديد السويكت.

١٩٢- تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، ١٩٩٢م.

١٩٣- الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير.

١٩٤- الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أحمد شاكر، طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٧٠هـ.

١٩٥- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

١٩٦- خلافة علي بن أبي طالب، رتبه وهذبه، د. محمد بن صامل السلمي، مستخرج من البداية والنهاية، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٩٧- السلسلة الضعيفة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

❋ ❋ ❋

الفهـرس

* * *